المحاضرة الأولى بعنوان
علم الاجتماع الحضري
(مفهومه ومجالاته)

مقدمة
•يرى كثير من الباحثين والعلماء أن القرن الماضي هو عقد التحضر السريع ، وهذا التصور ينطوي على كثير من الصدق ، فعلى الرغم من أن الدول الصناعية الغربية قد شهدت تحضراً مرتفعاً مع مطلع القرن التاسع عشر إلا أن هذا التحضر قد تعاظم خلال القرن العشرين.

علم الاجتماع الحضري

مقدمة
•ثم واصل تعاظمه بعد الحرب العالمية الثانية حينما حصلت معظم الدول النامية على استقلالها السياسي، وبدأت تشهد انفجاراً حضرياً ، وبطبيعة الحال فإن هذا الانفجار الحضري يستدعيه بالضرورة كمية من المطالب والاحتياجات الطبيعية والمادية والمتغيرات في كثير من المجالات كالإسكان والتشييد والطرق والمواصلات والخدمات المختلفة.

علم الاجتماع الحضري

مقدمة
•وبالتالي فإن الدراسات الحضرية – كما يقول رايسمان- ذات أهمية أساسية لعلم الاجتماع نفسه، ذلك أن دراسة عملية التحضر يمكن أن تخدم دراسة التغير في أي مجتمع من المجتمعات.
علم الاجتماع الحضري
جاري التحميل...

مقدمة
•هذا إلى جانب أن دراسة البناء والتنظيم الاجتماعي الذى يقوم على الحياة الحضرية يمكن أن يفيد في فهم البناء والتنظيم الاجتماعي القائم في أي مجتمع ، حتى لو لم يمكن مجتمعاً حضرياً.

علم الاجتماع الحضري

أولاً: مفهوم علم الاجتماع الحضري ومجالاته.
•يعرف علم الاجتماع الحضري Urban Sociology بأنه علم اجتماع حياة المدينة وينظر إلى المدينة ويحللها كظاهرة اجتماعية في ذاتها إلى جانب دراسة المشكلات الخاصة بها، ولقد تطور تراث واضح ومميز لهذا العلم في أوروبا وأمريكا في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين.
علم الاجتماع الحضري

تابع مفهوم علم الاجتماع الحضري ومجالاته

•وظهر بين الباحثين الأوربيين ميل إلى تبنى منهج تاريخي ، ولكن مع ذلك فسرت المدينة بطرق مختلفة فبينما يرى "فوستيل دى كولانج" مثلاً في كتابه المدينة العتيقة عام ١٨٦٤ أن الدين هو السبيل أو النظام الهام والحاسم في المدينة.
علم الاجتماع الحضري

تابع مفهوم علم الاجتماع الحضري ومجالاته
•نجد أن "ماكس فيبر" في كتابه المدينة عام ١٨٥٨ يحاول تحليل طبيعة المدينة وبحث وظائفها السياسية والإدارية واهتم بشكل خاص بحقوق وواجبات المواطنين وأهمية تمايز المكانة وتباينها.
علم الاجتماع الحضري

تابع مفهوم علم الاجتماع الحضري ومجالاته
•هذا في الوقت الذى حاول "السير هنرى مين" أن يحلل المدينة من منطلق اقتصادي بحت فميز بين المدينة الأم والمدن الصغرى المجاورة.
علم الاجتماع الحضري

تابع مفهوم علم الاجتماع الحضري ومجالاته
•أما في أمريكا فقد كان الباحثون الأوائل في علم الاجتماع الحضري من المهتمين بمسائل الأخلاق، بينما صاغ الباحثون قضاياهم وأفكارهم داخل إطار أيكولوجي بحت، فلقد ذهب "روبرت بارل" إلى أن المدينة عبارة عن بناء طبيعي له قوانينه التي ترتبط بالنظام الطبيعي والأخلاقي.
علم الاجتماع الحضري

تابع مفهوم علم الاجتماع الحضري ومجالاته
•أما "بيرجس" فقد اهتم بظاهرة توسع المدن وأثر ذلك على بنائها الأيكولوجي ، لذا فقد أشار مصطلح علم الاجتماع الحضري بشكل عام إلى الدراسة السوسيولوجية للمدن أو الحياة في المدينة أو الحياة الحضرية.
علم الاجتماع الحضري

تابع مفهوم علم الاجتماع الحضري ومجالاته
•وعلى هذا يعرف علم الاجتماع الحضري بشكل أكثر تحديداً بأنه فرع من فروع علم الاجتماع العام يستخدم مناهجه وأدواته ومفاهيمه في دراسة الحياة الاجتماعية داخل المجتمع الحضري (الذى يقابله ويرث بالمجتمع الشعبي أو الريفي).
علم الاجتماع الحضري

تابع مفهوم علم الاجتماع الحضري ومجالاته
•تابع التعريف : والذي يتميز بالجماعات الثانوية وانقسامية الأدوار وتزايد معدلات الحراك (التنقل) الاجتماعي والمجتمع الحضري الذى يتميز بكبر الحجم، وكثافة السكان ، واللاتجانس هو العامل الأساسي الذى نفسر في ضوئه كافة الأشكال الاجتماعية التي تظهر في المدينة.
علم الاجتماع الحضري

تابع مفهوم علم الاجتماع الحضري ومجالاته

•وفي سياق هذا المعنى يهتم علم الاجتماع الحضري بالمدينة وما يتخللها من بناءات ودعائم ونظم وتيارات اجتماعية بالدراسة والتحليل كما يقوم بتفسير المظاهر المميزة للتنظيم الاجتماعي في مناطق الإقامة الحضرية في نشأتها وتطورها ووظائفها وأجهزتها الإدارية والفنية وتقسيمها الطبقي والمهني ومستوياتها التكنولوجية ومشكلاتها.
علم الاجتماع الحضري

تابع مفهوم علم الاجتماع الحضري ومجالاته
•وقد ضيق "روبرت بارك" تعريف علم الاجتماع الحضري وحصره في مقالته الكلاسيكية الشهيرة عن المدينة بأنه يهتم ببحث السلوك البشري في البيئة الحضرية.
علم الاجتماع الحضري

تابع مفهوم علم الاجتماع الحضري ومجالاته
•وفي ضوء ما سبق يتضح أن علم الاجتماع الحضري هو أحد فروع علم الاجتماع العام الذى يطبق مناهجه ونظرياته ومفاهيمه في دراسة للمدينة وأحوالها والظواهر الاجتماعية المرتبطة بها.
علم الاجتماع الحضري

تابع مفهوم علم الاجتماع الحضري ومجالاته
•ومدى تأثير الحياة الحضرية على السلوك الاجتماعي وأهم المشكلات المجتمعية التي تظهر في المدينة وفي إطار هذا يضيف "رايسمان" إلى أن هناك بعض الموضوعات التي لا يمكن دراستها دراسة حقيقية إلا من خلال مجتمع حضري كالطبقات الاجتماعية والبيروقراطية.
علم الاجتماع الحضري

تابع مفهوم علم الاجتماع الحضري ومجالاته
•وبناء على ذلك يمكن تحديد أهم مجالات علم الاجتماع الحضري على النحو التالي-:

علم الاجتماع الحضري
دراسة المدن والمراكز الحضرية والمناطق المتاخمة لها .
دراسة البناء الاجتماعي للحياة الحضرية.

علم الاجتماع الحضري

تابع مفهوم علم الاجتماع الحضري ومجالاته
دراسة خصائص الحياة الحضرية سواء من زاوية الوحدة الاجتماعية الصغرى micro-social أو زاوية الوحدة الاجتماعية الكبرى. macro-social

دراسة الأيكولوجية الحضرية بمعنى العلاقة بين الكائنات الحية وبيئتها الطبيعية.

تابع مفهوم علم الاجتماع الحضري ومجالاته
•وهكذا يتضح أن علم الاجتماع الحضري هو العلم الذى يهتم بدراسة المدينة بوصفها مركز الحضر بدراستها في نشأتها وتطورها ووظائفها وأجهزتها الإدارية والفنية وتقسيمها الطبقي

والمهني ومستوياتها التكنولوجية والمشكلات التي تعاني منها مثل مشكلات السكان وشئون الأسرة والتموين والمواصلات والخدمات العامة والخاصة والإسكان وغيرها.
علم الاجتماع الحضري

ثانياً: مفهوم التحضرUrbanization

•تشتق كلمة التحضر من الكلمة اللاتينية urbas وهي اصطلاح كان الرومان يستخدمونه للدلالة على المدينة وبخاصة مدينة روما.
علم الاجتماع الحضري

تابع مفهوم التحضر

•وقد حددت دائرة المعارف البريطانية مصطلح التحضر باعتباره العملية التي يتركز خلالها السكان في المدن أو المناطق الحضرية وتتم هذه العملية بطريقتين متباينتين هما -:
(1)من خلال زيادة المناطق الحضرية.
(2)من خلال زيادة حجم السكان للمقيمين في المناطق الحضرية.
علم الاجتماع الحضري

تابع مفهوم التحضر

•وبالتالي فالتحضر هو العملية التي بمقتضاها تحتشد نسبة متزايدة من سكان أحد المجتمعات في المدن ، وهي عملية قد ترتبط أو لا ترتبط بعملية التصنيع Industrialization وعلى هذا يعرف "كينجزلى دافيز "التحضر بأنه نمو نسبة السكان الذين يعيشون في المدن في مجتمع معين.
علم الاجتماع الحضري

تابع مفهوم التحضر

•وبالتالي قد تنمو المدن في الحجم دون حدوث تحضر إذا ما تزايد عدد السكان الريفيين بمعدل أكبر وتلك نقطة هامة، ففي أوروبا كان معدل النمو الحضري السريع راجعاً إلى الهجرة الريفية الحضرية الضخمة أما في العالم الثالث فالتحضر أكثر بطئا لأن سكان الريف مستمرون في الزيادة السريعة بالرغم من الهجرة إلى المدينة.
علم الاجتماع الحضري

تابع مفهوم التحضر

•وعلى هذا فالتحضر هو عملية من عمليات التغير الاجتماعي تتم عن طريق انتقال أهل الريف أو البادية إلى المدينة وإقامتهم بمجتمعها، بمعنى هي عملية إعادة توزيع السكان من الريف إلى المدن والمراكز الحضرية الأخرى.
علم الاجتماع الحضري

تابع مفهوم التحضر

•ويطلق على المستوى الذى يميل إليه المجتمع من تحضر درجة التحضر Degree of Urbanizationويقصد به عادة نسبة السكان الذين يعيشون بمراكز عمرانية يزيد حجمها على عشرين ألف نسمة إلى مجموع سكان الدولة.
علم الاجتماع الحضري

تابع مفهوم التحضر

•ومن الطبيعي أنه كلما ارتفعت نسبة سكان الحضر زادت درجة التحضر غير أن هناك حالات خاصة ترتفع فيها أعداد السكان بالمدن خلال فترة معينة إلا أن ذلك لا ينعكس على زيادة في درجة التحضر ويرجع السبب في ذلك إلى أن ارتفاعاً يكون قد أصاب الريف بنفس المعدل.

علم الاجتماع الحضري

تابع مفهوم التحضر

•ومن هنا كان مؤشر) معدل التحضر Rate of Urbanization (دالاً في التعبير عن التغير الذى يصيب درجة التحضر خلال فترة زمنية معينة، ويقاس هذا التغير بنسبة مئوية وكلما ارتفع معدل التحضر على معدل التريف زادت بالتالي درجة التحضر.

علم الاجتماع الحضري

تابع مفهوم التحضر

•وتوصف عملية التحضر دائما بأنها عملية تراكمية accumulative ويقصد بذلك أن رصيد التحضر لا يظل ثابتاً على ما هو عليه وإنما يتعرض باستمرار لإضافات وزيادات تنجم عن الإقامة الدائمة والاستقرار بنطاق مكاني محدد مع ما يرتبط بذلك من انجازات يحققها الإنسان يوما بعد يوم ويضيفها إلى التراث الحضاري لمجتمعه.

علم الاجتماع الحضري

تابع مفهوم التحضر

•ولا نعني بالتراكم هنا زيادة سكانية فقط وإنما فوق ذلك هو زيادة موارد وخبرة لدى هؤلاء السكان على استغلالها والإفادة منها.

علم الاجتماع الحضري

تابع مفهوم التحضر

•وهكذا نلاحظ أن مفهوم التحضر قد ارتبط بمعاني كثيرة ومتعددة منها ما ذهبت إليه "هوب تيسدال" في تعريفها للحضرية إلى أنها عملية تتضمن حركة للسكان من حالة أو موقف أقل تركيزاً إلى آخر أكثر تركيزاً.

علم الاجتماع الحضري

تابع مفهوم التحضر

•وبهذا المعني لا توافق تيسدال على تصور الحضرية كعملية لانتشار الخصائص الحضرية خارج حدود المدن وذلك لأن هذا التصور يجعل المدينة على حد تعبيرها سببا للتحضر بدلاً من اعتبارها أي المدينة نتيجة لها كما أن هذا التصور لا يفسر في نظرها نشأة المدن وتطورها.

علم الاجتماع الحضري

تابع مفهوم التحضر

•وهكذا يمكن تعريف التحضر بشكل أكثر تحديداً بوصفه ضرب من ضروب التغير البنائي الذى لا يقتصر فقط على انتقال السكان من المناطق الريفية إلى المناطق الحضرية أو التحول من العمل الزراعي إلى العمل الصناعي، ولكنه يتضمن أيضا تغيرات أساسية تشمل تفكير الناس أو سلوكهم وقيمهم الاجتماعية.

علم الاجتماع الحضري

ثالثاً: مفهوم الحضريةUrbanism

•يشير مفهوم الحضرية كما عرفه "مارشال جوردن" إلى أنماط الحياة الاجتماعية التي ترتبط بالسكان المقيمين في المناطق الحضرية والتي تتضمن تقسيم العمل والتخصص الدقيق وانتشار العلاقات الاجتماعية الرسمية والعلاقات القرابية وزيادة الروابط الطوعية والعلمانية وزيادة عملية الصراع الاجتماعي وزيادة الأهمية الاجتماعية لوسائل الاتصال.

علم الاجتماع الحضري

تابع مفهوم الحضرية

•أي أن الحضرية هي اتجاه يتجسد في ظاهرة تشهدها كل المجتمعات البشرية وتعني إقامة الناس واستقرارهم في تجمعات حضرية (قد تأخذ شكل المدن) وتتبلور في التغير النوعي الذى يحدث في أنماط تفكيرهم وسلوكهم تجاه الأنشطة السائدة ونمو التنظيمات القائمة والحضرية.

علم الاجتماع الحضري

تابع مفهوم الحضرية

•ويعد " لويس ويرث" من أبرز العلماء الذين ناقشوا وفسروا مفهوم الحضرية كطريقة في الحياة يمكن تناولها ميدانيا من خلال اتجاهات متشابكة ومتساندة

علم الاجتماع الحضري

تابع مفهوم الحضرية

•وعلى هذا فالحضرية تشير إلى حالة أو كيفية أو طريقة في الحياة ، ومن المتصور أن تكون خاصية مميزة للمدينة أو المجتمع المحلي الحضري.

علم الاجتماع الحضري

تابع مفهوم الحضرية

•والواقع أن كثيراً من الأفكار استوعبها تراث علم الاجتماع الحضري والتي حاولت أن تلخص خصائص المجتمع الحضري مثل كتابات (جورج زيمل و بيتريم سودوكين و زيمرمان و لويس و برث) تصدق في جانب كبير منها لمحاولة لتحديد خصائص الحضرية كطريقة للحياة .

علم الاجتماع الحضري

علم الاجتماع الحضري (مفهومه ومجالاته)
المحاضرة الثانية

رابعاً: خصائص الحياة الحضرية

•تتميز الحضرية كطريقة في الحياة ونمط في التفكير بالتغير السريع سواء من حيث الحركة السكانية أو من حيث التغير في النظم الاجتماعية أو الاقتصادية أو من حيث التغير في القيم والعادات والتقاليد والنظرة إلى الحياة ، وتتمثل أهم خصائص الحضرية فيما يلي-:

خصائص الحياة الحضرية

(1تتناسب الحضرية طردياً مع عدد السكان : بحيث كلما ازداد عدد السكان في مدينة ما ارتفعت فيها نسبة الحضرية ارتفاعاً ملحوظاً، وبالتالي يرتبط بسكن الحضر ظاهرة لافتة ونقصد بها التركيز السكاني فهي أول ما يلفت النظر في أي مركز للنمو بصفة عامة.

(2إن أهم سمة للحياة الحضرية هي شكل العلاقات الاجتماعية التي تقوم بين الناس ونوع العمل الذى يقومون به والتخصص وتقسيم العمل ومدى اتساع نطاقه، وليست المسألة في الحضرية مسألة عدد فقد نجد قرية من القرى يزداد عدد سكانها زيادة كبيرة جداً.

خصائص الحياة الحضرية

•وفي هذا الصدد يرى "لويس ويرث" أنه كلما كبر حجم المدينة قل احتمال معرفة عدد الأفراد ببقية سكانها معرفة مباشرة وشخصية، الأمر الذى يؤدى إلى تغير طابع الحياة الاجتماعية.

•ومن ثم فارتباطه بالآخرين يكون محدوداً فقط بما يقوم به الغير من نشاط أو دور معين في حياته ، ولهذا السبب توصف التفاعلات الاجتماعية والارتباطات أو العلاقات التي تقوم بين سكان الحضر بأنها:

على حد تعبير "ويرث" ذات طابع انقسامي بمعنى أن تكون العلاقات الاجتماعية وسائل لتحقيق أهداف شخصية وبالتالي تكون أكثر رشداً وعقلانية وأكثر بعداً عن العاطفية أو الانفعالية.

(3اللاتجانس أو التغير الاجتماعي: تعتبر خاصية اللاتجانس هي النتيجة الحتمية لظاهرة التحضر كعملية تركز مجموعة كبيرة من السكان في منطقة صغيرة ومحددة.

•ويبدو هذا الارتباط بين هذين المتغيرين واضحاً إذا وضعنا في الاعتبار حقيقة أن الكثافة السكانية الحالية تزيد إلى أقصى درجة ممكنة من عملية المنافسة سواء على المكان أو على الامتيازات والامكانات المتاحة.

•لهذا كله يصبح كل منها (المدينة والمجتمع الحضري) موطنا طبيعيا للتغاير واللاتجانس أو كما يسميها البعض بوتقة تختلط فيها الأجناس والثقافات المتغايرة لتسمح بل وتشجع على تأكيد الفروق الفردية باستمرار.

•ويتحقق تكامل المجتمع من خلال ما يطوره هذا الاختلاف والتغاير من تضامن بين الأفراد يقوم على أساس نفعهم لبعضهم البعض وليس على أساس تماثلهم وتشابههم، والنتيجة التي نخلص إليها على حد تعبير "ويرث" هي أنه كلما ازداد عدد الأفراد الذين يشتركون في عملية التفاعل كلما ازدادت امكانات التمايز بينهم.

(4التسامح الاجتماعي: ويعني التسامح هو الرغبة في منح الحريات المدنية للأشخاص وذوى الأقليات والديانات والرؤى السياسية المختلفة أو السماح للتعبير بحرية عن الأفكار المختلفة ومعاملة الآخرين وفقاً لمعايير عامة مستقلة عن الاختلافات القيمية.

•وقد أكد "ويرث" ارتباط هذا التسامح بطبيعة المجتمع الحضري الذى يتميز بتنوع الثقافات الفردية وتعدد أنماط الشخصيات وتمايز مستويات السلوك وسيطرة العلاقات السطحية.

(5سيطرة الضبط الرسمي والثانوي: حيث توفر المدينة أو المجتمع الحضري لسكانها فرصة العيش في عالمين اجتماعيين مختلفين وهما : عالم الأصدقاء والمعارف من ناحية أو عالم العلاقات الأولية الوثيقة، والثاني :عالم من الغرباء الذين يرتبطون به فيزيقيا عن قرب ولكنهم يكونون أكثر بعدا عنه من الناحية الاجتماعية.

خصائص الحياة الحضرية

•ويستطيع ساكن الحضر نتيجة لذلك أن يهرب من الضبط القهري للجماعة الأولية عندما يريد، وذلك بأن يختفي في بحر من الغرباء (وتلك هي خاصية الغفلة التي تتميز بها حياة المدينة والتي تحرر سكانها من الضبط الأخلاقي الصارم).

خصائص الحياة الحضرية

•ولكنه يستطيع في نفس الوقت أن يهرب من اللامبالاة والعلاقات غير الشخصية بأن ينتمي إلى جماعة أولية كجماعة الأسرة أو شلة من الأصحاب والأصدقاء لكى يسترد أمنه ويشبع إحساسه العاطفي وشعوره بأنه كائن اجتماعي وليس مجرد رقما أو شخصا تافهاً.

خصائص الحياة الحضرية

•ومن ثم يتخلص من العزلة التي تفرضها عليه حياة المدينة، ومعنى ذلك أن المدينة رغم سيطرة علاقات الجماعة الثانوية عليها إلا أنها في الوقت نفسه عبارة عن مجموعة من الجماعات الأولية المتداخلة التي تمارس قدراً لا يستهان به من ضبط السلوك ولكن ليس بنفس الدرجة من الإحكام كما هو

خصائص الحياة الحضرية

•ونظراً لسهولة الابتعاد عن الضوابط الأولية للسلوك فإن المجتمع الحضري يلجأ إلى ضوابط ثانوية، حيث يتحتم كبح جماح روح الاستغلال المتبادل الذى ينشأ بالضرورة عن ذلك الاتصال أو الاحتكاك المتنوع والوثيق بين أفراد لا تربطهم علاقات شخصية وعاطفية.

خصائص الحياة الحضرية

•ومن هنا كانت مختلف التنظيمات أو المؤسسات كالقضاء والبوليس والمحاكم والأجهزة الإدارية ذات اليد الطولي في تنظيم العلاقات المعقدة والنفعية بين سكان الحضر.

خصائص الحياة الحضرية

•وحتى الضبط الديني فإنه يمارس تأثيره من خلال منظمات وروابط ثانوية تعمل ككيانات شرعية أو جماعات ضاغطة وكلما كبر حجم المجتمع الحضري كلما أصبحت مشكلة الضبط أكثر وضوحاً وكانت أجهزة التنظيم والضبط الثانوي أكثر تنظيماً ويتحقق فيه الضبط القانوني والشرعي لتنظيم الحياة اليومية أي تفقد الأعراف والطرائق الشعبية تأثيرها كموجهات للموقف.

خصائص الحياة الحضرية

(6التنقل والحراك الاجتماعي: تتسم المدينة أو المناطق الحضرية ليس فقط بتحقيق قدر كبير من التنقل الجغرافي للأشخاص والسلع والأفكار ولكنها تشجع أيضا على تحقيق قدر أكبر من التنقل والحراك الاجتماعي.

خصائص الحياة الحضرية

•أن أهم ما يتميز به البناء الاجتماعي الحضري من تقسيم دقيق للعمل وإتاحة فرص المنافسة وتأكيد العلاقات الشخصية يؤكد عمليات الانجاز والاكتساب والتحصيل أكثر من وراثة المكانة.

خصائص الحياة الحضرية

(7الروابط الطوعية : نظراً لتزايد حجم المدينة أو المجتمع الحضري وزيادة كثافته السكانية والقرب المكاني الوثيق بين الأفراد وتنوعهم أو تغايرهم أصبح المجتمع الحضري مجتمع

للروابط أو الجماعات الطوعية الاختيارية سواء على مستوى المهنة أو الهواية أو على مستوى الموطن الأصلي أو على مستوى السن أو السلالة.

خصائص الحياة الحضرية

•لكي يستطيع ساكن الحضر أن يجد دائماً آخرين لهم نفس المصلحة ولهذا السبب تميل كل الجماعات في المجتمع الحضري إلى أن تكسب خاصية الطوعية أو الاختيارية التي لا تعتمد فيها العضوية على أساس القرابة أو النشأة، كما نجد أن كثيراً من العلاقات التي تتميز بها الجماعات الأولية بدأت تميل إلى الطابع الرسمي.

خصائص الحياة الحضرية

•فلقد أصبحت روابط الزواج أكثر سهولة من حيث إقامتها وبالمثل غدت الصداقة أكثر انقسامية ونفعية فضلا عن ذلك ظهرت أشكالاً جديدة ومتنوعة من الجماعات تستند أساساً على المصالح المتخصصة نجد من بينها الشلل والنوادي والقوميات والمجاورات وغيرها من جماعات نوعية متخصصة.

(8الفردية: يتسم سكان المجتمع الحضري بالفردية حيث تشجع الحضرية وباستمرار على تأكيد روح الفردية ، فالحشد الهائل من الجموع البشرية في المجتمع الحضري والطابع الثانوي والاختياري والطوعي للروابط الحضرية إلى جانب تعدد الفرص وتنوعها وسهولة التنقل أو الحراك الاجتماعي وتنوع الجماعات التي قد ينتمي إليها الأفراد وتعدد المصالح التي توجد بينهم.

خصائص الحياة الحضرية

•وما تشجعه الحياة الحضرية من روح المنافسة كل ذلك من شأنه أن يجبر الفرد على أن يتخذ قراره بنفسه، وعلى أن يخطط لحياته بطريقة فردية مستقلة ، الحضرية إذن تصنع الأفراد دائما بعضهم من بعض وذلك من خلال ما تزكيه بينهم من تميزات وفروق.

(9العزل المكاني: في الواقع أن التنافس على المكان في مثل هذا المجتمع الحضري الدينامي واللامتجانس من شأنه أن يؤدى إلى عزل واضح ومتميز للجماعات والأنشطة والوظائف ينعكس بوضوح على ما له من نمط مكاني، حيث نجد أن مركز المدينة أو المنطقة الحضرية يشغل بطبيعة الحال بالوظائف ذات الأهمية المحورية للمجتمع ككل.

(10الحياة الحضرية أوسع نطاقاً من الحياة الريفية: ففي الحياة الحضرية يكون الشخص حراً في نوع تعليمه وحرفته وسكنه وطريقة حياته الخاصة والعامة بينما في الريف نجد كل الظروف العائلية تفرض على الشخص كثيرا من أنماط السلوك يضطر إلى تنفيذها بحذافيرها.

خصائص الحياة الحضرية

(11تمتاز الحياة الحضرية بالتكيف السريع: فالفرد الجامد الذى لا يستطيع التكيف سرعان ما يتخلص بل يتنبأ له الباحثون بالمرض النفسي ، ولكن الفرد المتكيف المتفاعل هو الذى يمكنه البقاء في المدينة ، فالتكيف السريع شرط أساسي للحياة الحضرية الناجحة.

مستقبل الحياة الحضرية

•فـــ "أزولد شبنجلر" أكبر مفكر فيهم يرى أن المدينة ذاتها عبارة عن شر يدمر كل شيء وفي النهاية تعزف المدينة موتا في آثامها ويقول أن مولد المدينة يحمل في نفس الوقت علامة موتها.
•ومن هنا تبرز أهمية التخطيط للمدن بالتركيز على النظر إلى المدينة ليس على أسس مادية بحته لأنه يمكن أن ننجح في ترتيب كل شيء في الحياة الحضرية من الناحية المادية، ومع ذلك تظل الحياة الحضرية مثقلة بالهموم ومكانا قاتما للفرد.

مستقبل الحياة الحضرية

•ومن أجل هذا تبرز أهمية التخطيط الحضري الذى لابد أن يواجه مسائل العلاقات والقيم الذى يجب أن تهدف إلى مزيد من العلاقات المباشرة بين الناس وإعادة بناء القيم على أساس يقلل فرص الانحراف ويضمن ايجاد مستوى موحد تقريباً في النظرة إلى الحياة ، فالمدينة ليسن مجرد أبنية وشوارع أو ميادين أو معدات للحياة اليومية توفر الوقت والمجهود.

المحاضرة الثالثة

•مدخل
•أولاً: النظرية الايكولوجية
•ثانياً: النظرية النفسية الاجتماعية

أهداف المحاضرة

•تفسير المداخل المنهجية لعلم الاجتماع الحضري:
•أولاً: تطبيق النظرية الايكولوجية
•ثانياً: تطبيق النظرية النفسية الاجتماعية

مدخل

•إن المدينة ظاهرة معقدة ومتشابكة يحتاج إلى فهمها منظورات نظرية أكثر شمولا وكفاءة إذا ما أريد لهذا الفرع من المعرفة أن ينمو وأن يتطور.
•وفي الواقع توجد عدد من المحاولات النظرية التي بذلت لتحديد معالم النظرية الحضرية أو تقييم الموقف النظري في علم الاجتماع الحضري وسنحاول في هذه المحاضرة أن نعرض بعض التوجهات النظرية لعل من أهمها النظرية الايكولوجية والنظرية النفسية الاجتماعية ونظرية الثقافة الحضرية ونظرية العولمة وثنائية الريفي والحضري.

مدخل

•وتمثل هذه النظريات في الواقع توجهات نظرية معرفية يمكن من خلالها تناول أية ظاهرة تلحظ في المجتمع الحضري حيث أن الحياة الحضرية عملية مركبة ذات الأبعاد المتشابكة والمعقدة وهي ظاهرة سائدة في كل المجتمعات بدرجات متفاوتة ، وبالتالي فإن محاولة تفسيرها من خلال تلك النظريات تساعد على الواقع الفعلي لطبيعة تلك الظاهرة.

أولاً: النظرية الايكولوجية

•يعزو استخدام مفهوم الايكولوجيا Ecology إلى العالم البيولوجي الألماني "أرنست هايكل" عام ١٨٦٩ حيث استخدم كلمة Ockologie ليشير بها إلى علاقة الكائن الحي ببيئته العضوية وغير العضوية.

•وقد اشتق المصطلح من الكلمة اليونانية okios ومعناها منزل أو سكن ، والمعنى الواسع للفظ يشمل أيضا من يقيمون في السكن ونشاطهم اليومي ومبلغ تأديتهم لوظائفهم للإبقاء على الحياة وضمان الحصول على مواردها ، وهو المعنى المفهوم من لفظ Homing وبذلك يكون المعنى العام لكلمة الايكولوجيا أنه العلم الذي يدرس الأفراد الذين يعيشون في بيئة واحدة والوقوف على مبلغ نشاطهم وتفاعلهم مع عناصر البيئة.

•أما روبرت بارك وهو مؤسس هذه النظرية فقد حدد الإطار العام للنظرية حيث ذهب إلى اعتبار المدينة مكانا طبيعيا لإقامة الإنسان المتحضر ، حيث كان بارك مفتونا بكثير من خصائص الحياة الاجتماعية في شيكاغو ولذا فقد لاحظ بعض التصورات الهامة عن المدينة من أهمها-:
النظرية الايكولوجية

النظرية الايكولوجية

•أنه رأى أن المدينة الحديثة عبارة عن بناء تجاري يدين في وجوده إلى السوق التي تتوسع المدينة حوله ، وأكد على أن المدينة الحديثة تتميز بالتقسيم المعقد للعمل ، وهيمنة السوق التي أدت إلى انهيار الطرق التقليدية في الحياة الحضرية.

النظرية الايكولوجية

•رأى بارك أن المدينة الحديثة تتسم بالبناءات الرسمية عن طريق وجود ما يسمى بسيطرة البيروقراطيات على نطاق واسع، وستلعب الأجهزة البيروقراطية مثل البوليس والمحاكم والمؤسسات التطوعية الخيرية ومؤسسات الرفاهية الاجتماعية دوراً متزايداً في الحياة الحضرية.

النظرية الايكولوجية

•كما تصور بارك المدينة – متأثرا بدراسات جورج زيمل - باعتبارها مكانا أصبحت الحياة فيه أقل عاطفية وأكثر عقلانية عن الحياة في أي مكان آخر ، بيد أن بارك كان واعياً في الوقت نفسه بأنه ربما يؤدى انهيار الروابط العاطفية التقليدية في المدينة إلى ظهور روابط اجتماعية جديدة معتمدة على جماعات المصلحة والعلاقات الثانوية.

النظرية الايكولوجية

•أما وصف بارك بأنه ايكولوجية المدينة فإنه لا يعني الاقتصار على تتبع التقسيم المكاني الداخلي للمدينة ، أو وضع خريطة لمختلف الأشياء التي توجد بها ، وإنما ما أراده في الحقيقة اكتشاف تأثير هذه الظواهر الفيزيقية في خبرة سكان المدينة الإنسانية والعاطفية ودورها في تشكيلها.

النظرية الايكولوجية

•ويفترض بارك أن الظروف النفسية والأخلاقية للحياة في المدينة سوف تعكس نفسها بصورة طبيعية في كيفية استغلال المكان وفي أنماط الحركة الإنسانية والانتقال.... الخ ، وافترض بارك بمعنى آخر أن الثقافة تتجلى في الأشياء المصنوعة وأن المدينة لها طابع عضوي.

النظرية الايكولوجية

•ورأى بارك أنه يمكن استخدام مناهج انثروبولوجية في دراسة جوانب حياة المدينة وخصوصا الثقافات الهامشية (كالعصابات) والمهاجرين المنعزلين والفروق بين الناس وفقاً لمحال إقامتهم ، وأما عن البيانات المتصلة بذلك فأمكن الحصول عليها من المصادر الإحصائية الرسمية.

النظرية الايكولوجية

•ولقد تحقق اكبر انجاز للنظرية الايكولوجية في صورتها الأولى على يد أرنست بيرجس وبخاصة فيما قدم من تصور نظري خاص للنمط الايكولوجي للمدينة، وتعرف هذه النظرية باسم نظرية الدوائر المتمركزة أو بالتصور الحلقي.

النظرية الايكولوجية

•ومفاد هذه النظرية:

•أن المدينة تتخذ في نموها شكل خمس حلقات متحدة المركز تمثل الحلقة الأولى منها منطقة الأعمال المركزية وفيها تدور أكثر نشاطات المدينة كثافة، وتقع على أطرافها حلقة ثانية هي منطقة التحول والانتقال التي تتعرض وباستمرار للتغير نتيجة اتساع ونمو الحلقة الأولى ، كما تتميز بكثافتها السكانية العالية وظهور التفكك الاجتماعي.

النظرية الايكولوجية

•أما الحلقة الثالثة فتضم منطقة سكن الطبقات العاملة ويليها منطقة الفيلات وفى النهاية تقع الحلقة الخاصة خارج حدود المدينة حيث تشكل الضواحي والأطراف مناطق سكنية لذوى الدخل المرتفع.

النظرية الايكولوجية

•وإذا كان كل من بارك وبيرجس قد نجحا إلى حد ما في تصوير المدينة ككيان فيزيقي يتميز بحلقاته ودوائره الخمس، فإن ماكينزى جاء بدوره ليوضح القوانين والعمليات التي تعمل داخل هذا الكيان وتفسر بالتالي وجود هذه المناطق المميزة وذلك من خلال عمليات كالمنافسة والتركيز والإبادة والعزلة والغزو والتعاقب، ورأى أنها منشأ أو توحد هذه المناطق الطبيعية التي تشكل البناء الفيزيقي للمدينة.

النظرية الايكولوجية

•وهنا نطرح سؤالاً مؤداه : ما هو المقصود بالغزو والعزلة والإبادة ؟

•يقصد بالغزو العمراني هو انتقال الجماعات والأفراد من منطقة لأخرى ويسمى أحيانا الهجرة وقد يكون على نطاق واسع وقد يضيق نطاقه فيقتصر على تحريك بعض الجماعات بقدر محدود.

النظرية الايكولوجية

•أما العزلة فتتخذ مظهران يمثل المظهر الأول العزلة الفكرية والمذهبية بمعنى أن الجماعات التي تمارس العزلة من الممكن أن تصاهر غيرها أو تدخل في علاقات اجتماعية مباشرة مع الآخرين رغم التباعد الفكري أو المذهبي، أما المظهر الأخر فهو العزلة الكاملة من الناحيتين الاجتماعية والمكانية ، فلا تختلط هذه الجماعات بغيرها ولا تتعامل إلا في أضيق الحدود ، وتحافظ بقدر الإمكان على مقوماتها وخصائصها وتراثها الاجتماعي ويعبر عن المظهرين معاً بالعزلة البشرية.

النظرية الايكولوجية

•والإبادة الاجتماعية فتتضمن مظهران ويشير المظهر الأول إلى حملات الإبادة لجماعات بأسرها عن طريق الاضطهاد الديني أو الجنسي أو الاعتقال ، أما المظهر الثاني فيتضمن إفناء التراث الثقافي والقضاء على مقومات الحضارة والدين وذلك عن طريق إغلاق للمدارس والجامعات وتخريب المكتبات وقتل الأساتذة والطلبة وتشريدهم.

النظرية الايكولوجية

•هذا وقد ازدادت عمليات الغزو والعزلة والإبادة والتعاقب في المجال العمراني إثر تطور الهجرة الداخلية والخارجية وقيام الحروب سواء كانت حروب عالمية أو حروب إبادة يقوم بها المستعمرون من البيض ضد الأجناس الآخرين مما وسع من نطاق الدراسات المتصلة بالايكولوجيا الاجتماعية.

النظرية الايكولوجية

•ولقد ساهم كل من دنكان وشنور وهاولى وهم من أقطاب النظرية الايكولوجية حيث توصلا إلى أن درجة التحضر بالمجتمع تتناسب طردياً مع طبيعة نظام تقسيم العمل بالمجتمع الحضري، بمعنى أنه كلما ازدادت درجة تقسيم العمل الاجتماعي نتيجة سيادة النظام الصناعي بالمجتمع الحضري ارتفعت درجة التحضر به.

النظرية الايكولوجية

•كما أن درجة التحضر تتناسب طردياً مع التطور التكنولوجي السائد وهي نتيجة منطقية تتسق مع نمط النشاط السائد بالمدينة وهو الصناعة في الغالب، حيث يؤدى هذا النشاط إلى استخدام مخرجاته أي المقتنيات التكنولوجية الحديثة في زيادة تحضر المجتمع نتيجة استخدام موارده المتاحة بشرية كانت أم مادية أفضل استخدام ممكن.

النظرية الايكولوجية

•وبرغم أهمية إسهامات النظرية الايكولوجية في تفسير البناءات الايكولوجية الحضرية إلا أنها تعرضت لنقد شديد، ولقد كان من أهم ما وصفت به النظرية الايكولوجية المبكرة أنها بدأت تحليلها من طريق خاطئ وذلك عندما وجهت كل اهتمامها إلى الجوانب الجيوفيزيقية للمدينة دون أن تهتم بحياتها الاجتماعية.

النظرية الايكولوجية

•كذلك نقدت النظرية الايكولوجية بشدة لبدائية مفاهيمها وعدم أهميتها في التحليل السوسيولوجي للموضوعات التي طرحتها، كمفاهيم للمناقشة والعزل والغزو ...الخ ، من المتصور في نظر البعض مثل مارتندال أنه بالإمكان أن تعالج بعض المسائل المرتبطة بالحياة الاجتماعية

الحضرية في ضوء هذه المفاهيم ولكن ليس بالإمكان أن تتحدد من خلالها لأنها تنطبق على الحياة الريفية كما تنطبق على الحياة الحضرية.

ثانياً: النظرية النفسية الاجتماعية

•تشير هذه النظرية في علم الاجتماع الحضري إلى أعمال رواد مدرسة فكرية متميزة ظلت تسيطر على علم الاجتماع الألماني لفترة طويلة حتى وقتنا هذا ، كما تمثلها أعمال ثلاثة من روادها الأوائل وهم «ماكس فيبر ، و جورج زيمل ، و أوزفالد شبنجلر» وفيما يلي نشير إلى أهم إسهامات كل منهما على النحو التالي-:

النظرية النفسية الاجتماعية

(1)ماكس فيبر وتصوره للمدينة:

•لقد انتهج ماكس فيبر في معالجته للمدينة منهجا يختلف تماما عن ذلك الذي ذهبت إليه أعمال **تونيز ودوكايم** ولكنه كان مهتما بتطوير نموذج عام للمدينة ، ولكنه ذهب إلى أن تحقيق ذلك بدون الاهتمام الواعي بالمدن الفعلية في الأنماط المختلفة من العالم ، وفي أزمان مختلفة سيؤدى إلى نظرية حضرية ذات قيمة محدودة جداً.

النظرية النفسية الاجتماعية

ولتوضيح هذا المنهج كتب فيبر معالجته الشهيرة عن المدينة والتي ظهرت لأول مرة عام ١٩٢١ حيث قام بمسح المدن في التاريخ الأوروبي والشرق الأوسط وقارن بينهما وفقاً لمعلوماته وبياناته عن المدن التاريخية ، وطور فيبر تعريفاً أسماه بالمجتمع المحلى الحضري المتكامل فإنه يجب أن تبدي المنطقة هيمنة نسبية للعلاقات التجارية هذا فضلاً عن تميز المنطقة الحضرية بالسمات التالية-:

النظرية النفسية الاجتماعية

(1)أن يعتمد المجتمع الحضري الكامل على التجارة أو العلاقات التجارية وأن المدينة على عكس المجتمع الريفي لا يمكن أن تحقق اكتفاء ذاتيا من الناحية الاقتصادية تقريباً ، فالسكان يعتمدون على بعضهم البعض اقتصادياً بمعنى التضامن العضوي الذي ذهب إليه **دوركايم.**

النظرية النفسية الاجتماعية

(2)أن المدينة **يجب أن تكون مستقلة نسبياً** حيث حدد فيبر أن تقيم المدينة محكمة وقانونا خاصة بها، أو على الأقل استقلال سياسي جزئي.

(3)ضرورة **أن يكون المجتمع الحضري على شكل متصل من الرابطة** بمعنى أن يقيم سكان المدينة علاقات تقوم على المشاركة في حياة مدينتهم.

النظرية النفسية الاجتماعية

•ولقد كان فيبر يقصد من تعريفه للمدينة أن يقدم نموذجا مثاليا لظروف المدينة أي كوسيلة للحياة الحضرية تستطيع أن تواجه القدرات الاجتماعية الكامنة في هذا التنظيم للإقامة البشرية، ويفترض هذا النموذج المثالي أنه من الممكن تقديم وصف عقلاني أو رشيد لظاهرة اجتماعية مثل المدينة.

النظرية النفسية الاجتماعية

•ولكن هذا الوصف العقلاني قد قام على المنظور التاريخي ومعنى ذلك أن النظرية العقلانية عن المجتمع هي نتاج للتاريخ أي نتاج الخبرة الحقيقية للناس، وليست مستندة إلى فروض أو أبنية فرضية تنتمي إلى بعض المفكرين ، وباستخدام طريقة النماذج المثالية يمكن المقارنة بين الصور الاجتماعية المركبة ويستخدم العقل كوسيلة أو أداة للتعمق في الخبرة التاريخية تلك التي لا تظهر إذا حصر الملاحظ رؤيته في نطاق المادة التاريخية خلال الزمان.

النظرية النفسية الاجتماعية

•وبالتالي يفترض النموذج المثالي لفيبر عن إمكانية إيجاد وصف رشيد (عقلي) لأية ظاهرة اجتماعية مثل المدينة، إلا أن المناقشة الرشيدة غالبا ما تحدث خارج لغة التاريخ ولذلك نرى ماكس فيبر في معالجته للمدينة قدم تفسيراً جديداً حيث أن معاصريه لم يحاولوا تحليل أثر العوامل الحضرية في بعض جوانب الحياة الاجتماعية ، كما فعل معظم المعاصرين له ممن تأثروا بأعمال تونيز ودوركايم.

النظرية النفسية الاجتماعية

•كما أنه من ناحية أخرى ابتعد تماماً عن الاتجاه التصوري أو الشكلي الذي تبناه زميله زيمل وحاول جاهدا أن يوضح الظروف التي تجعل دور المدينة ايجابياً أو ابتكارياً في الحياة العامة للإنسان مستعيناً في ذلك بدراسته لمدن الماضي أو المدن القديمة ومعتمداً في نفس الوقت على تصور خاص في تعريفه للمدينة.

النظرية النفسية الاجتماعية

•ومن الممكن أن يوصف الموقف النظري لماكس فيبر بأنه شكل من أشكال السلوكية الاجتماعية، فهو لم يرغب في أن يحدد أبعاد التحليل السوسيولوجي في مجرد وصف أو تصوير الأشكال النفسية فقط، بل اعتبر منذ البداية أن مهنة علم الاجتماع تتمثل في شرح السلوك الإنساني في أبعاده الهادفة وذات المغزى لا من وجهة النظر الخارجية فقط.

النظرية النفسية الاجتماعية

•وبمعنى آخر تمثلت مهمة علم الاجتماع في نظره في شرح وتفسير الأفعال الإنسانية والعلاقات في ضوء معانيها أو مغزاها بالنسبة لأطرافها وأيضاً ما يرتبط بها من تغيرات فيزيقية خاصة ، ومن هنا تبدو قيمة المدخل الذي قدمه ماكس فيبر لدراسة المدينة ومشكلاتها من وجهة نظر علم الاجتماع "الفعل الاجتماعي" بمقارنته بزيمل.

النظرية النفسية الاجتماعية

•ففي الوقت الذي ينحل فيه المجتمع في نظر كل منهما إلى تفاعلات اجتماعية وسلوك إنساني متبادل وهادف، نجد أن زيمل يقصر مهمة علم الاجتماع على دراسة الصور المختلفة للسلوك والتفاعل دون محتواها أو مضمونها، ليصبح العلم في النهاية مجرد عملية إحصاء للصور النفسية للفعل الاجتماعي فقط، بينما يدع فيبر هذا التمييز بين الصورة والمحتوى جانبا ويقرر أن مهمة علم الاجتماع هي تقديم تفسير علمي للفعل الاجتماعي.

النظرية النفسية الاجتماعية

•وقد ترتب على ذلك أن احتوت نظريته في المدينة والتحضر على نظرية زيمل دون أن يكون العكس صحيحاً ، وكانت معالجته للمدينة على هذا النحو محاولة لبناء نموذج نظري متكامل للحياة الحضرية.

•لقد بدأ فيبر في دراسته للمدينة بالتصور الشائع للمدينة على أنها منطقة مستقرة وكثيفة من سكان متزاحمين ينعدم التعارف الشخصي والمتبادل بينهما.

النظرية النفسية الاجتماعية

•وفي هذا الصدد يطرح فيبر عددا من المفاهيم الأساسية التي يبدو أن لها صلة بالمجتمع المحلي يستطيع من خلال فهمها أن نمهد لتصوره للمجتمع الحضري منها-:

النظرية النفسية الاجتماعية

1.الأفعال الاجتماعية: وهي الوحدات النهائية أو المطلقة للتحليل السوسيولوجي ، أي أنها تصرفات إنسانية متداخلة ومتبادلة ذات مغزى أو معنى معين للأطراف المشتركين فيها.

2.العلاقات الاجتماعية: ويشير هذا المفهوم إلى ترتيب أو تنظيم ثابت للعناصر التي تظهر في الفعل الاجتماعي ، فهي - أي العلاقات – لا توجد بمعزل أو خارج الأفعال الاجتماعية ، بل هي ترتيبات متخيلة للفعل يمكن تصورها على نحو مجرد كأنماط للفعل الاجتماعي الظاهر.

النظرية النفسية الاجتماعية

3.النظم الاجتماعية: وينطوي مفهوم النظام على نفس العلاقة القائمة بين الفعل والعلاقة الاجتماعية ولكن على مستوى أكثر تجريداً ، فالنظام الاجتماعي يعرض دائماً أنماطاً أكثر ثباتاً للسلوك ومع تلك الأهمية التي تبدو للنظم الاجتماعية إلا أنها لا تكفي بذاتها لتفسير الحياة الاجتماعية برمتها، ونظراً لأنها تمثل جوانب مختلفة ومتعددة للحياة الاجتماعية، فإن دراسة النظم تمهد الطريق للباحث ليصل بعد دراستها واحدا بعد الآخر إلى الوحدات الكبرى المنظمة للحياة الإنسانية المتداخلة.

النظرية النفسية الاجتماعية

٤.المجتمع المحلي: هو وحدة كلية منظمة للحياة الاجتماعية لا يتميز بنظام واحد بعينه بل مجموعة منسقة ومتداخلة من النظم.

•وبصدد الحديث عن المجتمع المحلي الحضري وجد فيبر أن ما قدم قبله من تفسيرات كانت عبارة عن تصورات جزئية للمدينة ، فالمدينة بالمعني الاقتصادي أو بمعنى كحامية عسكرية أو

كجهاز إداري سياسي لا تكون مجتمعاً حضرياً كاملاً إلا إذا كان يمثل نوعاً من سيطرة أو غلبة العلاقات التجارية ويعرض ككل لمجموعة من الخصائص أهمها-:

النظرية النفسية الاجتماعية

(1)التحصين.
(2)السوق.
(3)محكمة خاصة وقانون مستقل.
(4)شكل مترابط من أشكال الرابطة.
(5)الاستقلال الذاتي أو على الأقل إدارة ذات سلطات يشارك فيها المواطنون بالانتخاب.

النظرية النفسية الاجتماعية

•ويبدو أن تصور فيبر للمدينة واضحا إذا حددنا المصطلح المرتبط به ارتباطا وثيقا وهو مصطلح cosmopolitan أو مصطلح العالمية حيث نستطيع أن نصف أي منطقة للإقامة البشرية بهذه الصفة إذا ظهرت فيها أساليب متنوعة للحياة جنباً إلى جنب مع وجود أفراد ذو اتجاهات مختلفة ، ولقد نقل فيبر هذا التعريف إلى ثقافة المدينة ذاتها.

النظرية النفسية الاجتماعية

•فالمدينة هي الشكل الاجتماعي الذي يسمح بدرجة عالية من الفردية، والتميز في كل مظهر واقعي من المظاهر الموجودة في العالم، ولتحديد معنى المدينة لا يمكن الاقتصار على وصف نمط حياة منفرد ولكن باعتبار أنها أحد البناءات الاجتماعية التي تعمل على إيجاد أساليب حياة ملموسة ومتعددة وهكذا تصبح المدينة مجموعة من البناءات الاجتماعية التي تعمل على تشجيع الفردية والتجديد ومن ثم تصبح أداة للتغير التاريخي.

النظرية النفسية الاجتماعية

•ومن هنا نستطيع أن نوضح دراسة فيبر للمدينة، حيث افترض أن المدينة الحديثة لا توضح أو تعبر عن المدينة باعتبارها ثقافة ، فقد نظر إلى المدن في أيامه على أنها نظم بدائية ومتخلفة، أكثر من كونها نتاجات لخــط معقد من التطور التاريخي مثلما اعتقد كثير من المعاصرين له، فالقوة الرشيدة والبيروقراطية الكامنة في الرأسمالية الحديثة عبارة عن عمليات جدلية معقدة.

النظرية النفسية الاجتماعية

•إلا أنها تعمل على إيجاد نوع من انتكاس أو تقهقر البيئة الحضرية وعلى العكس من الماركسيين الذين عاصروه فقد ذهب فيبر إلى عدم الاعتقاد في التطورات التاريخية التي تظهر بصورة جامدة وموجهة، فقوى النمو الصناعي توجد حالة من التخلف الحضاري أكثر مما حدث في مدن العصور الوسطى، وهكذا استطاع أن يكشف ويجدد الشكل الحضري في العصور الوسطى المتأخرة في البلدان.

النظرية النفسية الاجتماعية

•وأن يلقي الضوء على المدن الايطالية في عصر التنوير والتي بدت أكثر قربا من تنميط ظروف وحالات بناء المدينة التي نتج عنها أساليب حياة حضرية متنوعة وعديدة وهي بهذا على العكس من تلك المدن التي تسود أوروبا في العصر الحديث والتي يأمل فيبر في توضيحها دون دراسة تغيرها وكيفيته وإنما توضح ما يمكن أن يفقد منها الآن.

النظرية النفسية الاجتماعية

(2)جورج زيمل والحياة العقلية للمدينة:

•لقد كان زيمل صديق وزميل دراسة لماكس فيبر ، ولقد اشترك كل من فيبر وزيمل في تصور البناءات التي تكون المدينة الغربية الحديثة إلا أن زيمل لم يوافق فيبر في تفسير سبب وجود المدينة بالإضافة إلى أن زيمل يرى إمكانية وجود حياة حضرية معقدة وجديدة في تلك الأشكال الحضرية للعصر الحديث.

النظرية النفسية الاجتماعية

ويرى زيمل أن الحقيقة للحياة الحضرية لكل الأنواع سواء في الأسرة أو القانون الحضري كانت متمثلة في الشعور بالقهر ، ذلك الشعور الذي يحيط بالإنسان في المدينة التي يعيشها. ويرى زيمل أن الإفراط في الحافز النفسي يقود الناس إلى محاولة الدفاع عن أنفسهم برد الفعل العاطفي بالنسبة لمن يحيطون بهم في المدينة وهذا يعنى ألا تحاول القيام برد الفعل كما تفعل جميع الكائنات البشرية، وكدفاع ضد تعقيد الحياة الحضرية.

النظرية النفسية الاجتماعية

•ولقد توصل زيمل إلى صورة تشبه كثيراً ما توصل إليه فيبر عن خصائص حياة المدينة الحديثة تلك الخصائص المتمثلة في اللاشخصية والبيروقراطيات التي لا تتمثل فيها العلاقات المباشرة وعمليات السوق الفعلية إلا أن زيمل يعتقد أن هذه السمات ناتجة عن حالة نفسية اجتماعية تصيب طبيعة التحضر.

النظرية النفسية الاجتماعية

•ولذلك يرى زيمل أن الخصائص الوظيفية وغير العاطفية الأكثر ارتباطاً بالمدينة، وهي القوى التي تحرر الناس إيجاد دائرة السلوكي القوى التي تحفز الناس إلى النظر للنظام المبهم في الحياة الروتيني لمشاعرهم وآفاقهم الثقافية، وحيث أن روتين الحياة هو سلوك دفاعي فإن الشخص الذي يدافع عن نفسه يعتقد أن ذاتيته هو تكمن في مقدرته على الدفاع والترفع فوق المسائل الدنيوية والأشياء العاطفية وأن يعيش حياته بعيداً عنها.

النظرية النفسية الاجتماعية

•لذا فقد رأى زيمل أن ظهور العالم الحديث كان سببا للاهتمام بكيفية قدرة الفرد على تمكينه من إبقاء روح الحرية والإبداع في قلب العوامل الاجتماعية الشاملة ، وأكد في مقالته الميتروبوليس والحياة العقلية إلى أن الفرد سيتعلم القدرة على تعليم نفسه مع الحياة في المدينة، فالمدينة في تصور زيمل تمطر الفرد بوابل من المناظر المختلفة والأصوات والروائح.

النظرية النفسية الاجتماعية

•ومن أجل مقاومتها يجب أن يتعلم كيفية التمييز بينها بدقة ويتوافق مع الضروري ويبتعد عما لا يعينه ، وتصبح هذه العملية التي تحدث في الإنسان الحضري أكثر تعقيدا وعقلانية عنها في الإنسان في القرية، ونتيجة لعملية التمييز هذه فإن المدينة ككل تصبح أكثر عقلانية ورشداً، فالسكان يخططون وينظمون حياتهم اليومية لتحقيق أعلى فاعلية فمثلاً التنظيم المعقد للوقت في المدينة الذي يتمثل في المنبهات وساعات اليد ،

النظرية النفسية الاجتماعية

•والذي رأى زيمل أنه لو توقفت فجأة كل الساعات في مدينة مثل برلين بألمانيا ولو لساعة واحدة فقط، فإن الحياة الاقتصادية والاتصالات في المدينة سترتبك لفترات طويلة، وبالإضافة إلى التنظيم الرشيد للوقت،نظر زيمل إلى عقلانية المدينة التي تظهر في التقسيم المعقد للعمل، فالحياة الاجتماعية في المدينة هي تفاعل المتخصصين.

النظرية النفسية الاجتماعية

•كما أشار زيمل إلى أن الميتروبوليس (المدينة الأم) كانت دائما هي المقر الرئيسي لاقتصاد النقود ، والتي تعتبر النقود أحد الأسباب الأساسية لتحقيق عملية التبادل، وأن النقود تهتم فقط بما هو مشترك بين الجميع كما أنها تختزل كافة الأنماط إلى السؤال بكم أو إلى قيمة عددية.

النظرية النفسية الاجتماعية

•وفي إطار الأسس النفسية التي تكمن وراء الحياة الحضرية ذهب زيمل إلى أن ساكن الميتروبوليس يواجه دائما بالعديد من التوترات ، وأنه من المتعين عليه أن ينمى في ذاته (عقله) تقيه هجمات عناصر البيئة الخارجية التي تحاول دائما اقتلاعه والإطاحة به، وتتمثل هذه العقلية في ضرورة أن يستجيب ساكن الميتروبوليس أو يتفاعل بعقله لا بقلبه لأنه إذا استسلم لعواطفه ومشاعره في تفاعلاته كان الضياع قدره لا محالة.

النظرية النفسية الاجتماعية

•أن البيئة التي من حوله تكثف لديه إدراكاته وليس مشاعره أو عواطفه ، وتؤدي باستمرار إلى غلبة الذكاء الذي يسير جنباً إلى جنب مع تخصص البيئة الحضرية وتمايزها ويصبح في النهاية من أهم الخصائص المميزة للمدينة.

النظرية النفسية الاجتماعية

•وهكذا يتفق زيمل مع فيبر في بعض النقاط ويختلف معه في نقاط أخرى، فهو يتفق معه في أن الصورة الحضرية التي توجد في العصر الحديث تشير إلى إمكانية ظهور حياة حضرية ومعقدة، وفي أنه بالإمكان وصف هذه الصورة بالاعتماد على نماذج مثالية ولكن عناصر هذا الوصف يجب أن تكون سوسيولوجية أكثر منها بنائية.

النظرية النفسية الاجتماعية

•إن حالة الضياع التي يعيشها إنسان المدينة والابتعاد عن الاستجابات العاطفية بين سكان المدينة والعلاقات الجزئية والانفعالية بينهم وسيطرة البيروقراطية وإدارة السوق كميكانيزمات تدفع إليها الحياة الحضرية ، ولكن في الوقت الذي يرى فيبر أنه ظهرت بتأثير قوى اقتصادية متضمنة في الرأسمالية يرى زيمل أنها نتاج ظروف حضرية ذات طبيعة نفسية واجتماعية في الأساس.

النظرية النفسية الاجتماعية

٣.أوزفالد شبنجلر وثقافة المدينة:

•يعتبر أوزفالد شبنجلر آخر ممثل للنظرية النفسية الاجتماعية ، والذي لم يكن صديقا شخصيا لأي من فيبر أو زيمل إلا أن كتاباته عن المدينة تعكس بعض أفكارهما وهي التي كان لها تأثير واضح على مدرسة شيكاغو بأمريكا.

النظرية النفسية الاجتماعية

ويعتقد شبنجلر أن مراحل تطور المدينة تشير إلى الحياة الحضرية ككل في الثقافات الغربية بهذا التصور تميز تماما عن تصورات فيبر وزيمل الذين اهتما بتتبع الخصائص المميزة للمدينة كبناء اجتماعي ، كذلك ذهب شبنجلر إلى أن مراحل نمو المدينة تتخذ شكل الدورة لأن نشأة المدينة الثقافية وتدهورها يتخذ نمطاً واضحاً يكشف عن مراحل النمو والتدهور في المجتمع إلا أن شبنجلر ابتعد عن المفكرين القدامى.

النظرية النفسية الاجتماعية

وذلك بوقوفه على مجريات النمو الحضري الذي يختلف عن النمو الصحي للمجتمع، فلقد اعتقد شبنجلر أن المدينة الكبيرة في عصره تعمل على إفساد نشاط وحيوية وطاقة من يقيم بها حيث تتميز بالطابع الروتيني وتصبح الحياة فيها قاسية، بحيث تتدهور المدن ويعود المجتمع إلى نوع من الحياة الزراعية وغير المتمدنة، وهكذا تعمل دورة النمو الحضري على إعادة تنظيم ذاتها.

النظرية النفسية الاجتماعية

•وفي كتابه الأساسي تدهور الغرب كان يعتقد شبنجلر أن ثقافة المدينة الغربية قد أخذت في التدهور والتفسخ منذ بدايات القرن العشرين ، كما يعتقد شبنجلر أن دورة الحياة الحضرية تنطبق على إفساد سكانها عن طريق اختفاء الطابع النظامي على عمليات العلاقات البشرية المتبادلة وعن طريق جعل هذه العمليات روتينية وغير عاطفية ، ولقد أدرك زيمل هذا من خلال تطور المدن الأكبر حجماً.

النظرية النفسية الاجتماعية

•وهكذا يتبين لنا أن هناك اتفاقاً واضحاً يجمع ما بين تصور فيبر وزيمل وشبنجلر مؤداه التأكيد على العقلية الحضرية رغم اختلاف كل منهما في تفسير هذه العقلية كلما كشف هذا التأكيد عن تصورهم النفسي الاجتماعي في تحليل ظروف الحياة في المدينة الحديثة.

المحاضرة الرابعة علم الاجتماع الحضري
التوجهات النظرية في علم الاجتماع الحضري
(الجزء الثاني)

ثالثاً: نظرية الثقافة الحضرية

•تنطلق هذه النظرية من أعمال كل من لويس ويرث وروبرت ردفيلد ، فمن اتخذ – على حد تعبير جوبرج - من المدينة متغيراً أساسياً لتفسير بعض الأنماط الحضرية جعلت المدينة تأخذ محتوى ثقافيا خاصا وتصبح تبعا لذلك متغيراً تحليلياً لتفسير هذا المحتوى ، بحيث تعرض الثقافة الحضرية باعتبارها طريقة للحياة.

نظرية الثقافة الحضرية

•لذا فقد نظر مجموعة من العلماء المحدثين في علم الاجتماع الحضري مثل (لويس ويرث وكينجزلى دافيز وهاولى ولامبارد وهومز وموريس وجانيب أبو لغد) إلى التحضر من وجهة نظر مزدوجة ، من حيث رؤية التحضر كتمركز جغرافي للسكان والأنشطة غير الزراعية في موقع ذي شكل وحجم معينين.

نظرية الثقافة الحضرية

•وإذا كان البناء الاجتماعي يتكون من مجموعة متصلة ومنمطة من العلاقات الاجتماعية التي تبرز من خلالها أدوار الأفراد ووظائفهم فإن للبناء الاجتماعي الحضري أهمية حيوية في تشكيل الشكل الحضري السائد فهو يتسم بخصائص معينة لعل أهمها سيادة العلاقات غير الشخصية التي تظهر في شكل التفاعلات والعلاقات المستمرة بين الأفراد.

نظرية الثقافة الحضرية

•كما أن درجة التجانس الثقافي بالمركز الحضري تؤثر على كيفية ممارسة الأفراد لأدوارهم وعلى نوعية العلاقة الاجتماعية السائدة بين ساكني النمط الحضري والوافدين إليها من المناطق الريفية ، ومن الطبيعي أن ترتبط ظاهرة تركز السكان بالمركز الحضري بحيث تؤثر على تكوين الطبقة وتحديد علاقتها بغيرها من الطبقات.

نظرية الثقافة الحضرية

•غير أن البناء الاجتماعي في المجتمع الحضري لا ينشأ من فراغ ولا يتحرك إلى غير هدف، وإنما يتحدد إطاره بالهيكل الثقافي للمجتمع الكلي أولاً والحضري ثانياً، وفي هذا الإطار الثقافي يحكمه نسق القيم السائد ومن الطبيعي أن يختلف هذا النسق بين أنماط المجتمع - ريفه وحضره – ومن هنا تتحدد درجة التجانس الثقافي بين نمطي المجتمع من ناحية وتتفاوت درجة انسجام الشخص الوافد إلى المركز الحضري مع الإطار الثقافي الجديد بالنسبة له من ناحية أخرى.

نظرية الثقافة الحضرية

•ويعد "أورسكار لويس من الرواد الأوائل الذين تناولوا فكرة التغير الثقافي الذي تعرض له الوافد الجديد إلى المركز الحضري ، وتدارس بعمق عملية التكيف الاجتماعي أو التوافق الاجتماعي التي يحاول تحقيقها هذا الوافد مع إطار ثقافي مغاير.

نظرية الثقافة الحضرية

•كما أنه عالج ليس فقط نظريا وإنما عن طريق الدراسات التجريبية أيضا أسلوب الحياة الذي يختاره في بعض الأحيان أو يضطره في غالبية الأحيان للمعيشة فقط بالنمط الحضري ، وفي إطار ذلك عرض لويس فكرته التي تأسست على تفرع ثنائي يميز بين نمطين للمعيشة في المجتمع الحضري وهما النمط الشعبي – الحضري والنمط الريفي الحضري.

نظرية الثقافة الحضرية

•وكان يُجمع كثير من منظري النظرية الحضرية على أن مقالة لويس ويرث الحضرية كطريقة في الحياة أول عمل كلاسيكي أرسى فيه الدعوة الأولى لهذا التوجه النظري الذي ظهر لدى كثير من علماء الاجتماع في محاولتهم الإجابة على التساؤل الذي يدور حول الأنماط والعمليات التي تتضمنها عملية تحول طريقة الحياة السابقة على التصنيع والتحضر إلى نظام صناعي حضري.

نظرية الثقافة الحضرية

•وقد حاول ويرث صياغة نظرية متكاملة من خلال طرح تعريف وسؤال وإجابات متتالية على هذا السؤال-:
•أما التعريف فهو الذي بدأ به ويرث وكان تعريفا للمدينة مؤداه: أنها موقع دائم يتميز بكبر الحجم وبكثافة عالية نسبيا وبدرجة ملحوظة من اللاتجانس بين سكانه.

نظرية الثقافة الحضرية

•يبدأ تصور ويرث بافتراض أن الحجم والكثافة والتغاير واللاتجانس متغيرات أساسية أو مستقلة أو خصائص مميزة للمجتمع الحضري تسلم بدورها إلى عدد من الخصائص التي ترتبط بطبيعة الحياة الحضرية وشخصية ساكن كبير الحضر.

نظرية الثقافة الحضرية

•فمن ناحية يرى ويرث أنه كلما كبر حجم المجتمع الحضري (المدينة) اتسع نطاق التنوع الفردي وارتفع معدل التمايز الاجتماعي بين الأفراد، الأمر الذي يؤدى إلى زيادة انتشار العزل المكاني للأفراد والجماعات على أساس السلالة أو المهنة أو المكانة.

نظرية الثقافة الحضرية

•ويؤدى هذا العزل المكاني بدوره إلى إضعاف روابط الجيرة والعواطف التي تنشأ نتيجة المعيشة المشتركة ولأجيال متعاقبة تحت تقليد علم مشترك ويترتب على ذلك انتشار علاقات اجتماعية ذات طابع انقسامي من خلالها يتعرف الحضري على عدد أقل من الأفراد وبدرجة أقل من المودة إلى جانب سيطرة علاقات المنفعة.

نظرية الثقافة الحضرية

•أما متغير اللاتجانس فقد كان في ذاته نتيجة ترتبت على متغيري الحجم والكثافة فهو استجابة مباشرة لضرورة اقتصادية (تقسيم العمل) وأخرى اجتماعية تمثل الاختلافات والفروق المتوقع وجودها في جماعات كثيفة من السكان.

نظرية الثقافة الحضرية

•ولكن اللاتجانس (التغاير) يؤدى بدوره إلى سلسلة من المصاحبات الاجتماعية أهمها تطوير نسق أكثر تعقيداً للتدرج الطبقي وزيادة معدلات الحراك بأشكاله الفيزيقية والاجتماعية وتطوير شخصية عالمية، وتتفاعل هذه الأبعاد الثلاثة (الحجم والكثافة واللاتجانس) في نظرية ويرث مع بعضها لتؤدي إلى طريقة فريدة في الحياة أطلق عليها الحضرية.

نظرية الثقافة الحضرية

•وكان ويرث متفائلاً بشأن الحضرية كطريقة في الحياة ، فقد نظر ويرث إلى المدينة باعتبارها حمض يذيب مع الوقت القيم التقليدية ويقوض مؤسسات وعلاقات ذات معنى، كما رأى إمكانات الحريات الكبيرة في المدينة ولكنه كان قلقاً من أن تتساوى هذه الجوانب الايجابية حتماً مع التفكك الذي لاحظه في مدينة شيكاغو المضطربة ، ورأى إمكانية تحقيق البيئة الحضرية الإنسانية فقط من خلال عمليات التخطيط للسيطرة على المدينة.

نظرية الثقافة الحضرية

•وأن المجتمع الحضري في تصور ردفيلد له خصائص وثقافة مميزة تبدو واضحة في ضوء اختلافها عن خصائص وثقافة مجتمع الفولك حيث تسود خصائص التفكك والفردية والعلمانية على طرف نقيض مع خصائص فولكية أهمها سيطرة التقليدية والجمعية ونزعة نحو المقدسات.

نظرية الثقافة الحضرية

•كذلك فإن تأكيد روبرت ردفيلد للتفكك الاجتماعي كنتيجة مصاحبة بالضرورة للتحول الحضري كان من أهم نقاط الضعف التي أبرزتها تلك الدراسات التي حاولت اختيار هذه النظرية من واقع مجتمعات أخرى ـ فلقد توصل أوسكاريوس إلى أن التحضر في مدينة المكسيك لم يصاحب بالضرورة بتدهور النظام الاجتماعي أو الأخلاقي.

رابعاً: نظرية العولمة والفروق الريفية والحضرية

•تعد محاولة تحديد الفروق الريفية الحضرية وتحديد الخصائص المميزة لكل نمط محاولة قديمة في تاريخ الفكر الاجتماعي وعلم الاجتماع بدأها المُصلِح الصيني كونفوشيوس وفلاسفة الإغريق مثل أفلاطون وأرسطو ومفكرو العصور الوسطى كالقس أوغسطين وابن خلدون.

نظرية العولمة والفروق الريفية والحضرية

•ثم قدم جوبرج إسهاماً واضحاً في تناول قضية الفروق الريفية الحضرية من خلال صياغة جديدة ترتكز على معالجة البناء السكاني للمجتمعات الريفية والحضرية عبر الزمان والمكان ، اعتقاداً منه بأن هذه المعالجة تخدم مناقشة الأنماط الريفية الحضرية في ثلاثة نماذج من المجتمعات الإنسانية-:

1. المجتمعات التي تمر بمرحلة ما قبل الصناعة.
2. المجتمعات الانتقالية أو النامية.
3. المجتمعات المتقدمة صناعياً وتكنولوجياً.

نظرية العولمة والفروق الريفية والحضرية

•وبرغم أن جوبرج اعتبر التكنولوجيا هي العامل الرئيسي في تفسير الفروق الريفية الحضرية إلا أنه استخدم عوامل أخرى أثناء عملية التفسير هذه، حيث أن طبيعة المدينة نفسها مسئولة عن بعض الظروف والاختلافات بين الريف والمدينة حيث أن النموذج الحضري غالباً ما يتأثر بشكل السلطة أو القوة أو النظام السياسي والاقتصادي.

نظرية العولمة والفروق الريفية والحضرية

•ولذا فقد أدرك كثير من المخططين على تركز العمليات على مركزية المناطق الحضرية وتقلص المناطق الريفية وبالتالي فإن ثورة التدفقات التي تتم على الصعيد العالمي وتحدث بحرية وفي قفزات سريعة جعلت من مهمة تعميم الديناميات الريفية الحضرية أمراً بالغ التعقيد.

نظرية العولمة والفروق الريفية والحضرية

•لذا فمن الأهمية إدراك ضرورة استبدال التمييز بين الريفي والحضري بفكرة شبكات التفاعلات لأن تقسيم الريفي الحضري في نمط (دعه يعمل دعه يمر) التي تقوم على التنمية في الوقت الحالي سيؤدى إلى انهياره تماماً وبالتالي فهناك حاجة ماسة للبحث عن مذاهب جديدة تبتعد عن ثنائية الريفي الحضري.

نظرية العولمة والفروق الريفية والحضرية

•فانهيار الوقت وتقلص المكان وتداخل الحدود بين الريفي والحضري يشير إلى اهتمام جديد بتدفق السكان والسلع ورؤوس الأموال عبر المكان الذي لا يكون ريفي خالص أو حضري خالص ولكنه خليط من الاثنين ويكون هذا الخليط بارزاً بشكل واضح في الدول النامية وبخاصة في المناطق الحضرية بمراكز المدينة الميتروبلتانية.

نظرية العولمة والفروق الريفية والحضرية

•ونظرا لتشابك وتداخل العلاقات بين المجتمع الريفي والمجتمع الحضري وما برز من ظواهر مثل تريف المدينة وتحضر الريف وبخاصة في المجتمعات النامية فهذا يتطلب تشكيل ما يسمى بالديناميات الريفية الحضرية وليس الثنائية التقليدية بين الريفي والحضري.

الخاتمة

•ومن أجل هذا أصبحت معظم الدراسات تمثل نسخة واحدة ومكررة كدراسة ايكولوجية المدينة وعملياتها والتوزيع السكاني ودراسة النظام الطبقي والجوانب النفسية لساكن المدينة وغيرها دون الدخول في قضايا نظرية وتطبيقية جديدة تثري الإطار المعرفي والنظري لعلم الاجتماع الحضري.

المحاضرة الخامسة بعنوان التحليل الاجتماعي لدراسة المدينة

أولاً: تعريف المدينة

•رغم أننا نعيش في المدينة ونحيا فيها وأن كثير من العلماء يدركون ماذا نعني بكلمة المدينة ولكن أحداً لم يقدم تعريفاً شاملاً للمدينة ، وعادة ما يستخدم علماء الاجتماع هذا المصطلح في إطارها عن البيئة القائمة التي يسكن في نطاقها سكان الحضر، وبالتالي فإن تعبيرات المجتمع الحضري والحضرية والتحضر ما هي إلا عبارات تستخدم للدلالة على الحياة الاجتماعية في المدينة.

تعريف المدينة

•ولعل أهم ما يميز المدينة عن المجتمع الريفي سواء من حيث البناء والثقافات هو أن المجتمع الريفي متجانس بينما المجتمع الحضري غير متجانس وأن البناء والوظيفة بين المجتمعين مختلفين، فالمدينة أكبر حجماً من المجتمع الريفي ومتكاملة وظيفياً لعناصرها المختلفة على هيئة وحدة كلية.

تعريف المدينة

•يرى لويس ويرث أن أهم ما يميز المدينة ليس فقط نسبة السكان بل بالتأثير الذي تمارسه المدينة على الحياة الاجتماعية للإنسان.

•المدينة هي المكان أو المركز الذي يضبط ويمسك بزمام المبادئ الاقتصادية والسياسية والثقافية.

تعريف المدينة

•وبهذا يمكن تعريف المدينة كما يرى ويرث بأنها مكان دائم للإقامة يتميز نسبياً بالكبر، والكثافة يسكنه أفراد غير متجانسين.
•بينما المدينة عند روبرت بارك ليست مجرد تجمعات من الناس مع ما يجعل حياتهم فيها أمراً ممكناً مثل الشوارع والمباني والكهرباء ووسائل المواصلات.

تعريف المدينة

•كما أنها ليست مجرد مجموعة من النظم والإدارات مثل المحاكم والمستشفيات والمدارس والشرطة والخدمات المدنية من أي نوع، فالمدينة فوق هذا كله اتجاه عقلي ومجموعة من العادات والتقاليد إلى جانب تلك الاتجاهات المنظمة والعواطف المتأصلة في هذه العادات والتي تنتقل عن طريق هذه التقاليد ، وبمعنى آخر فالمدينة ليست مجرد ميكانزم فيزيائي أو بناء صيغة للإنسان وإنما هي نتاج الطبيعة وذات طبيعة إنسانية.

تعريف المدينة

•بحث جورج زيمل في الأسس السيكولوجية التي تكمن وراء الطابع الحضري للحياة، فدرس التوترات والعواطف ونوع الذكاء الذي يجب أن يتمتع به الأفراد الناجحون في الحياة.
•كما درس التنظيم الاجتماعي الذي يؤدى إلى قيام الروابط والجماعات المتعددة التي تعتمد على تقسيم دقيق للعمل.

تعريف المدينة

•فيما ذهب ماكس فيبر في تعريفه للمدينة على أنها منطقة مستقرة وكثيفة السكان، ينعدم التعارف الشخصي والمتبادل بينهم.
•ومن ثم فإن فيبر يعرف المدينة الحديثة على أنها نسق أو محل إقامة مغلق نسبياً لتجاور المنازل بشكل كبير ومن شروطها الضرورية توفر سوق ووضوح وظيفتها الاقتصادية.

تعريف المدينة

•تعريف المدينة بشكل أكثر تحديداً باعتبارها وحدة اجتماعية حضرية محدودة المساحة والنطاق ومقسمة إدارياً ويقوم النشاط فيها على الصناعة والتجارة وتقل فيها نسبة المشتغلين بالزراعة ، وتتنوع فيها الخدمات والوظائف والمؤسسات وتمتاز كثافتها وسهولة مواصلاتها وتخطيط مرافقها ومبانيها وهندسة أراضيها وتتمايز فيها الأوضاع والمراكز الاجتماعية والطبقية.

نشأة المدينة وتطورها

•كما يرى البعض أن المجتمعات المحلية الزراعية المتمثلة في القرى هي الشرط الأساسي الضروري لظهور الحياة الحضرية بمعنى أن الثورة الحضرية المبكرة قد نشأت في إطار عملية التحول نحو إنتاج الطعام ولكنها ارتبطت في الوقت ذاته بعدد من التغيرات التكنولوجية الهامة، ولذا يميل البعض إلى إبراز الأدوار التي لعبتها التطورات التكنولوجية في ظهور المراكز الحضرية في مختلف مناطق العالم.

نشأة المدينة وتطورها

٣.المدينة الحديثة: وقد شهدت تلك المرحلة تقدماً مذهلاً في مجال الاكتشافات الصناعية التكنولوجية كما كان لها عظيم الأثر فيها، وينبغي ألا يفهم أن جميع المدن الحديثة هي مدن

صناعية بالضرورة بمعنى أنها تشتمل على عدد كبير من المصانع أو أن هذه المصانع تشكل أساس بنائها الاقتصادي.

نشأة المدينة وتطورها

•وقد ترتب على نمو المدينة مشكلات وظهرت قضايا عديدة سواء تلك المشكلات كالطرق ووسائل النقل والمواصلات والإسكان أو الاجتماعية كالجريمة والتفكك الأسرى وغيرها، ومع استمرار هذا النمو ظهرت الميتروبوليس والتي ذهب بعض علماء الاجتماع إلى أنه إذا كانت المدينة الحديثة ظاهرة القرن التاسع عشر فإن الميتروبوليس (ومعناها المدينة المهيمنة على المناطق المجاورة) تعتبر ظاهرة القرن العشرين.

نشأة المدينة وتطورها

•ولم يتوقف النمو الحضري عند مرحلة الميتروبوليس ولكن تخطاها إلى مرحلة جديدة سميت بالميجا بوليس (أي المدينة العظمى) والتي نشأت نتيجة اختلاف عدة مدن معاً واتحادها سوياً، وقد ذهب "لويس ممفرد" في مجال حديثه عن مراحل تطور المدينة إلى أن مرحلة الميجا بوليس تمثل مرحلة بدء انحلال وانهيار المدينة بل وسقوطها.

نشأة المدينة وتطورها

•وفى الواقع أن المدينة الحديثة ترجع إلى مجموعة من العوامل والأسباب من أهمها في العصر الحديث ما يلي-:

1.الثورة الصناعية والتي ساعدت على ظهور المدن الصناعية الحديثة وانهيار العمل اليدوي وحل محله إقامة العمل الآلي واتسع نطاق استخدام الآلات في مختلف الصناعات وأصبحت المراكز الصناعية نواة المدن الصناعية الكبرى.

نشأة المدينة وتطورها

2.ارتقاء وسائل النقل والمواصلات فقد أدت هذه الوسائل إلى اتساع نطاق المدن، وأدت إلى ازدياد نشاطها العمراني.

3.الهجرة الخارجية التي اشتدت موجاتها في أثناء القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ولاسيما في أمريكا مثل شيكاغو ودوترويت.

نشأة المدينة وتطورها

•وفي هذا السياق يمكن تحديد العوامل التي تفسر نمو المدينة ودرجة التحضر فيها على النحو التالي-:

1الثورة الزراعية: حيث أن نمو المدينة مرتبط ارتباطاً لا مفر منه بطبيعة الإنتاجية الزراعية وذلك لأنه يلاحظ أنه في حالة أمكان إنتاج فائض من مواد الطعام يصبح من الممكن الاستغناء عن جانب من قوة العمل المستخدمة في إنتاج المواد الغذائية وتوجيهها نحو إنتاج سلع استهلاكية أو رأسمالية والقيام بأنواع من الخدمات التي تغير الحياة في المدينة، ومن هنا يرى علماء الاجتماع أنه كلما ازدادت الإنتاجية في النظام الزراعي كلما ازدادت نسبة السكان الحضريين.

نشأة المدينة وتطورها

٢.الثورة التكنولوجية: حيث يميل علماء الاجتماع إلى الربط بين المدينة الحديثة الصناعية وبين نظام المصنع الحديث ، فالمدينة الحديثة تحتاج إلى وسائل لإعاشة السكان المتزايدين الذين

يستطيعون بدورهم أن يقطعوا شوطهم في الحياة دون حاجة إلى العمل في الأراضي طالما سمح الفائض في الإنتاج الزراعي بذلك.

نشأة المدينة وتطورها

٣.الثورة التجارية: حيث أن نمو الأسواق العالمية وطرق التبادل حسنت من وسائل النقل وزادت من حجم التبادل الأمر الذي سمح للمدن بالنمو في ظل ظروف كانت تمنع ظهورها أو نموها في الماضي.

نشأة المدينة وتطورها

٤.الكفاية المتزايدة في وسائل النقل: فإذا كانت المدينة تعتمد اعتماداً ضروريا على التجارة بنوعيها الداخلي والخارجي فإن الزيادة المستمرة في كافة وسائل النقل البعيدة المدى كالسفن والقطارات والسيارات والطائرات كان له أثر بالغ جداً في تطور المدينة نحو النمو المتزايد.

نشأة المدينة وتطورها

٥.الثورة الديموجرافية: حيث أن الثورات التي حدثت في الزراعة والتجارة والصناعة ووسائل النقل تعتبر دليل لوجود الثورة الصناعية ولكن يبقى عامل واحد وهو ما يسمى بالثورة السكانية أو الديموجرافية، وتعتبر هذه نتيجة حتمية للنمو في العوامل السابقة.

المحاضرة السادسة بعنوان
استكمال التحليل الاجتماعي لدراسة المدينة

•ومع ذلك نلاحظ منذ البدء أن هذه المداخل الثلاث تتداخل معاً على المستوى الواقعي ولكننا سوف نتناولها بشيء من التفصيل لاعتبارات منهجية محددة تتصل بأسلوب تحليل الظواهر المتعلقة بالحياة الحضرية وبالتحضر عامة على النحو التالي-:

1.مدخل التحليل النموذجي

•ويقصد به تلك الصياغة أو البناء العقلي لصيغة معينة تشمل عناصر مميزة لفئة محددة من الظواهر تستخدم في التحليل الاجتماعي.

2.مدخل مركب السمات

•ويتميز مدخل مركب السمات في استخدامه صفات أو خصائص ملموسة أو متغيرات يمكن إدراكها على المستوى الواقعي، كما أن هناك متغيراً أصيلاً تتبع منه كل المتغيرات الأخرى ، ومن أشهر ممثلي هذا المدخل كل من سوروكين وزيمرمان في كتابهما مبادئ علم الاجتماع الريفي والحضري.

•حيث اهتما بالتفرقة بين المجتمعات الريفية والحضرية على أساس المهنة باعتبارها متغيراً مستقلاً وهي البيئة، وحجم المجتمع، وكثافة السكان والتجانس واللاتجانس، والحراك الاجتماعي ، ونسق التفاعل، ويذهبا إلى توضيح ذلك على النحو التالي-:

1.المهنة: حيث أكد سوروكين وزيمرمان أن الخاصية الأساسية للمجتمع الحضري هو أن معظم الأفراد يشتغلون أساساً بأعمال الصناعة والتجارة والإدارة.

٣. حجم المجتمع: يتناسب حجم المجتمع الريفي مع حجم الأرض التي يمارس السكان نشاطهم تناسباً عكسياً ويرجع ذلك إلى طبيعة العمل الزراعي الذي يحتاج إلى مساحة واسعة وعلى العكس من ذلك فإنه كلما زادت نسبة التحضر تزداد معها أحجام المجتمعات وبالتالي فالمدينة تمثل مساحة صغيرة نسبياً من الأرض يعيش عليها عدد كبير نسبيً من السكان.

٤.كثافة السكان: حيث تتسم المجتمعات الريفية بانخفاض كثافة السكان بالمقارنة بالمجتمعات الحضرية ويرتبط هذا المحك بالمتغير السابق كما تربط في المجتمع الحضري الخصائص بعلاقات طردية مع ارتفاع معدل الكثافة.

٥.التجانس واللاتجانس: كما أكد سوروكين وزيمرمان على أن سكان المجتمع الريفي أكثر تجانساً إذا ما قورنوا بسكان المجتمع الحضري سواء كان هذا التجانس في مجال السمات العنصرية أو السيكولوجية أو الاجتماعية.

6.التمايز الاجتماعي والتدرج : حيث رأوا أن التمايز الاجتماعي أو التدرج الطبقي الذي يؤدى إلى قيام الطبقات الاجتماعية أمر لا يظهر في المجتمعات الريفية بينما يظهر هذا الأمر بوضوح في المجتمعات الحضرية كما أنه من الملاحظ أن التمايز والتدرج الطبقي في مجتمع القرية مرتبط بمسائل شخصية بحيث أنه من السهل على الفرد في مثل هذا المجتمع أن يعرف ويمارس مهنة الآخرين، هذا على عكس المجتمع الحضري الذي تتدرج فيه المهن تدريجاً هرمياً وحيث تؤسس المكانة الاجتماعية للفرد على أساس ما استطاع أن يحققه من كسب مادي بعيداً عن انتمائه لجماعة قرابية معينة.

7.الحراك الاجتماعي : حيث لاحظا أن الحراك الاجتماعي أمر يكاد يكون غير موجود في المجتمع الريفي، ولكنه غير محدود وواسع النطاق في المجتمع الحضري نظراً لاتساع نطاق العمل والسوق وإمكانية تحقيق التطلعات الفردية بشكل أكثر من القرابة لكن يستثنى من ذلك معدلات التنقل السكاني (الهجرة) من جوانب الريف إلى المدينة.

8.نسق التفاعل: ولعل أهم ما يميز نطاق التفاعل في المجتمع الريفي أن نطاق التفاعل مجاله بالنسبة للفرد أو الجماعة فيكون أكثر ضيقاً وغلبة للعلاقات الأولية على انساق التفاعل حيث تبرز العلاقات الشخصية والدائمة والشمولية بين الأفراد وعلى العكس من ذلك كان اتساع وكبر حجم المجتمع الحضري وارتفاع معدلات التغير بين سكانه سبباً مباشراً في اتساع نطاق التفاعل وغلبة العلاقات غير الشخصية والمؤقتة والمصلحة كما تبدو هذه العلاقات بدورها ذات طابع سطحي ورسمي وثانوي في كثير من الحالات بالتعامل الشخصي في المدينة كرقم وعنوان على حد تعبير سوروكين وزيمرمان.

3.مدخل المتصل الريفي – الحضري.

•لقد أقام روبرت ردفليد تصوره لفكرة المتصل الريفي- الحضري في كتابه الشهير ثقافة المجتمع الشعبي (الريفي) عند اليوكاتان حيث قام بدراسة أربعة مجتمعات محلية في شبه جزيرة اليوكاتان بالمكسيك ـ

•وهكذا يتضح أنه يمكن من خلال هذا المدخل أن تضع كل مقومات الإنسان ونتائج نضاله مهما اختلفت خصائصها في أحد حلقات تلك السلسلة المتصلة والمترابطة ، وبالتالي يمكن أن نعتبر هذا المدخل الذي ينظر إلى الريف والحضر على أنهما علامتين على طريق واحد مدخلاً مختلفاً

إلى حد كبير عن المدخلين السابقين إلا أن هذا المدخل يواجه مجموعة من الصعاب لعل من أهمها-:

رابعاً: طبيعة المدينة ومشكلاتها

•تواجه المدينة في معظم أنحاء العالم مشكلات وأزمات حادة مثل مشكلة الفقر والمناطق العشوائية والإسكان والتلوث وأزمة المواصلات، وتعد هذه المشكلات وغيرها نتيجة للتغير التكنولوجي وما ارتبط بذلك من نمو المدن وتضخمها في العصر الحديث، ولذلك يقرر بعض الباحثين إلى أن التكنولوجيا غير قادرة على حل المشاكل التي تخلقها إلا إذا استعانت بالعلوم الإنسانية وفي مقدمتها علم الاجتماع.

•ومن هنا سوف نحاول أن نركز على أهم المشكلات الحضرية المزمنة التي تعاني منها المدينة في الآونة الأخيرة ليس حصراً ولكن نظراً لخطورتها وتفاقمها وهي على النحو التالي-:

1.مشكلة الفقر الحضري:

•أن الفقر حالة اجتماعية تتحدد من خلال ردود الفعل المجتمعية باعتبارهم فئة اجتماعية متميزة عن باقي أفراد المجتمع ، أي أن الفقر واقع اجتماعي يتطلب التفسير.

2.مشكلة البطالة في المجتمع الحضري

•تعد ظاهرة البطالة واحدة من أخطر المشكلات التي يترتب عليها أثارا اجتماعية خطيرة، فقد أكدت غالبية الدراسات وبخاصة الأمبريقية منها إلى وجود علاقة طردية بين البطالة والتطرف والعنف حيث أن غالبية المتعطلين وبخاصة أن الذين يعانون من نمط البطالة يعانون من إحباطات اجتماعية ونفسية واقتصادية تسفر في كثير من الأحيان عن إفراز حالة من التطرف بمضمونه الأيديولوجي (الفكري) أو محتواه الديني (العقائدي) وقالبه العنصري (العرفي) الأمر الذي يتخذ صورة العنف تجاه الذات أو الجماعة أو المجتمع كله.

3.مشكلات الإسكان الحضري

•يعد المسكن الملائم أهم مقومات حياة الأسرة، وفي ظله تقوم الأسرة بوظائفها وتنأى عن كثير من المشكلات الصحية والتربوية والأخلاقية وتتوفر لها العمل المثمر.

•أن سوء حالة المسكن وعدم استبقائه لوسائل الصحة وعدم تناسبه مع حجم الأسرة يؤثر تأثيراً بالغاً في جميع أنماطها ومظاهر سلوك أفرادها.

•ونتيجة خطورة مشكلة التلوث وضرورة الاهتمام بالبيئة طرح منذ أول السبعينات شعارات تنمية بلا تدمير، وتنمية أكيولوجية تشير إلى ضرورة تحقيق الوئام بين متطلبات مشروعات التنمية ومقتضيات حماية البيئة (موارد وتلوث) وفي أواخر الثمانينات طلعت علينا لجنة برونتلاند بشعار التنمية المستدامة أو القابلة للاستدامة وقد تبنى مؤتمر وزراء البيئة العرب هذا الشعار في الاجتماع الذي عقد في القاهرة عام ١٩٩١ تمهيداً للمشاركة العربية في قمة الأرض في ريو دى جانيرو عام ١٩٩٢.

•وبالتالي أصبح هدف التنمية المستدامة هو الوفاء بطلبات الحاضر دون المساس بحقوق الأجيال القادمة وقدرتها على توفير احتياجاتها والالتزام بشروط ثلاثة:

5.مشكلة المناطق المتخلفة بالمدينة

•في الواقع تشكل المناطق المتخلفة بالمدينة موضوعاً أساسيا من الموضوعات المرتبطة بالمشكلات الحضرية ، كما أنها تكشف في ذات الوقت عن نوعية الحياة السائدة في قطاع حضري، ولاشك أن ظهور هذه المناطق المتخلفة يرتبط ارتباطاً وثيقاً بظاهرة الفقر، فتنمو في ظله وتستمد منه تأثيراتها في المجتمع الحضري بأكمله.

علم الاجتماع الحضري
التلوث البيئي والحياة الاجتماعيّة الحضريّة
المحاضرة السابعة

أولاً: موضوع البحث وأهدافه

•يعتبر التلوث البيئي من القضايا المحورية التي شغلت أذهان علماء البيئة والاجتماع والأنثروبولوجيا في الوقت الراهن، نظرا لأن هذه القضية تمثل أبرز التحديات الحضارية لأي مجتمع ، كما أن آثارها المدمرة تمتد لتشمل غالبية دول العالم.

•لذا فقد أقرت الجمعية العامة للأمم المتحدة في ديسمبر عام ١٩٩٠ بأنه من حق كافة الأفراد الحياة في بيئة ملائمة لصحتهم ولرفاهيتهم ، وهذا الإعلان يؤكد على ضرورة تكاثف الجهود الدولية للقيام بدور مهم في النهوض بحماية البيئة العالمية من مخاطر التلوث لكي يعيش الإنسان في عالم خالٍ من التلوث المدمر من أجل زيادة الإنتاج وتحقيق الرفاهية.

•ولذا يهدف هذا الفصل إلى دراسة إحدى الظواهر التي يعاني منها المجتمع الحضري وهي ظاهرة التلوث البيئي في سياق الحياة الحضرية والمناطق المتخلفة وتحليل كافة الجوانب المتشابكة المؤدية إلى هذه الظاهرة ومصادرها والآثار الناجمة عنها وهذه الدراسة مطبقة على المجتمع المصري.

ثانياً: المفاهيم الأساسية للبحث

•ستتناول هذه الدراسة عدداً من المفاهيم المستخدمة وهي مفهوم التلوث ومفهوم التحضر ومفهوم المناطق المتخلفة على أساس أن هذه المفهومات تمثل مطلباً حيوياً في توجه الدراسة الميدانية وتوضيح منطلقاتها النظرية، ولذا يجب الإشارة إلى الاختلاف القائم بين هذه المفهومات ومدلولاتها النظرية وبين تطبيقاتها الواقعية.

- **مفهوم التلوث البيئي: التلوث البيئي كمفهوم علمي ليس من السهل تحديد معناه بدقة ، إذ غالباً تعتبر المادة ملوثة في مكان بينما تكون مورداً نافعاً في مكان أو نسق آخر**
- **هذا يفيد بأن التلوث البيئي هو تغير غير مرغوب في الخصائص الفيزيقية أو البيولوجية أو الكيمائية للهواء والأرض والماء على نحو يؤذي الحياة البشرية أو حياة الأنواع الأخرى أو يؤدى إلى تدمير الوضع الطبيعي وتخريبه.**

وهذا ما يبين أن التلوث لا يمثل ظاهرة من صنع الإنسان فقط بل توجد بعض العوامل البيئية التي يمكن أن تكون بذاتها ملوثة دون أي تدخل من جانب الإنسان في إيجادها أو تغييرها

- **وعلى هذا يعرف التلوث البيئي بأنه عبارة عن حدوث خلل وتغيير في الحركة التوافقية التي تتم بين مقومات النسق الايكولوجي بحيث تضعف فاعلية النسق**

وقدرته على أداء دوره الطبيعي في التخلص الذاتي من الملوثات وبخاصة العضوية منها، عن طريق العمليات الطبيعية أي هو الإخلال في التوازن البيئي.

- **ووفقاً لذلك يعرف أحد الباحثين التلوث البيئي بأنه كل ما يطرأ على الصفات الفيزيقية أو الكيمائية أو البيولوجية للبيئة مما يؤثر على الإنسان أو على ما يربيه من حيوان أو ما ينميه من موارد الزراعة، والرعي أو على ما يكون لديه من مقتنيات ثقافية وحضارية.**

•هذا وفي ضوء اتساع الخلاف في وجهات النظر حول تعريف التلوث البيئي فإن المجلس الاقتصادي والاجتماعي التابع للأمم المتحدة يرى أن التلوث يوجد عندما تحدث تأثيرات مباشرة للأنشطة الإنسانية التي تحدث في حالة الوسط بشكل يخل بعض الاستخدامات أو الأنشطة التي كان من الممكن القيام بها في حالته الطبيعية.

•أي أن ظاهرة التلوث البيئي والأضرار التي تنجم عنها ومواطن الخلل في هذه العلاقة وفي إطار ذلك فإن الباحث يعرف التلوث البيئي بأنه كل تغير في الخواص الطبيعية للبيئة بشكل يؤدي إلى اختلال التوازن البيئي الطبيعي، ويعطل من قدرة النظم البيئية سواء كان هذا التغير أتى بفعل الإنسان أو بفعل الطبيعة ذاتها.

(2)•مفهوم التحضر: التحضر في مفهومه العام هو ظاهرة تتعلق بالحياة في المدن، وفي البداية يجب التفريق بين التحضر والحضرية كما يلي-:
•فالحضرية هي اتجاه يتجسد في ظاهرة تشهدها كل المجتمعات البشرية وتعني إقامة الناس واستقرارهم في تجمعات حضرية (قد تأخذ شكل المدينة) وتتبلور في التغير النوعي الذي يحدث في أنماط تفكيرهم وسلوكهم تجاه الأنشطة السائدة ونمو التنظيمات القائمة.

•أما مصطلح التحضر فرغم صعوبة تحديده بشكل مغاير عن الحضرية إلا أنه لا يخرج عن كونه عملية ونتيجة في ذات الوقت فهو عملية من عمليات التغير الاجتماعي تتم عن طريق انتقال أهل الريف أو البادية إلى المدينة وإقامتهم بمجتمعها المحلي ، وبمعنى آخر هو عملية إعادة توزيع السكان من الريف إلى المدن والمراكز الحضرية الأخرى.

•أي أن مفهوم الحضرية يشير إلى حالة أو طريقة للحياة بينما التحضر هو عملية الحراك السكاني إلى المدن حيث يتم ذلك من خلال حركة الناس وانتقالهم إلى المناطق الحضرية.

•وعلى هذا فإننا نفهم ظاهرة التحضر على أنها ظاهرة اجتماعية دينامية يتم بواسطتها انتقال أهل الريف إلى المدن واكتسابهم تدريجياً أنماط الحياة الحضرية إلى جانب أنها عملية تحمل في مضمونها عناصر التغير الاجتماعي والثقافي السريع وذلك لرغبة الإنسان الأكيدة في التحضر.

(3)•مفهوم المناطق المتخلفة : هناك من يرى أن المناطق المتخلفة هي مجموعة من الأكواخ والعشش المبعثرة في أطراف المدينة ، وفي مقابل هذا الرأي يرى فريق آخر أن المناطق المتخلفة هي المساكن القديمة الآيلة للسقوط والمتهالكة والتي توجد في قلب المدينة، ومنهم من يعرفها في ضوء الأحوال المعيشية للسكان الذين يعيشون فيها والأوضاع الثقافية الخاصة بهم ، في حين يرى فريق رابع بأنها منطقة تضم مساكن الفقراء والغرباء والنازحين إلى المدينة سعياً وراء الرزق.

•هذا وفي ضوء اتساع الخلاف بين وجهات النظر حول تعريف المناطق المتخلفة ذهب بعض العلماء والدارسين إلى أنه قد يكون من المناسب تعريف المناطق المتخلفة بشكل عام بأنها المناطق غير الملائمة لحياة الإنسان وغالباً ما تقع بالقرب من مراكز المدن أو من المناطق الصناعية وتتسم بالازدحام السكني والتكدس السكاني ونقص الخدمات وعدم التنظيم الاجتماعي.

•وخلاصة القول يرى الباحث أن المناطق المتخلفة هي منطقة سكنية تعاني من نقص شديد في الخدمات والمرافق وتتسم بالتكدس السكاني والسكني وتفتقد إلى التيسيرات الحضرية والرعاية الاجتماعية والصحية وتكثر بها الحرف اليدوية والصناعات البسيطة ولها سماتها الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والفيزيقية المميزة لها.

•وعلى هذا تتبنى الدراسة الحالية المدخل الايكولوجي باعتباره يساعدنا على رصد أبعاد التغيرات الايكولوجية في المناطق المتخلفة ودورها في حدوث التلوث بها مثل إنشاء الورش والمصانع والمخابز داخل المناطق السكنية أو بالقرب منها ، فضلاً عن إلقاء القمامة في الشوارع وزيادة القاذورات وتكدس المباني بالسكان وضيق الشوارع وبالتالي قلة المساحات الخضراء بها.

دور القطاع غير الرسمي
في التنمية الحضرية
المحاضرة التاسعة

ولاشك أن التركيز على هذا القطاع واقتطاعه من سياق القطاعات الأخرى المؤثرة في التنمية يفقدنا النظرة العلمية التكاملية إلا أنه في نفس الوقت يعيننا على الكشف عن جوانب متميزة قد لا تظهر في إطار النظرة الشمولية ، على الرغم من أن هذا الاقتطاع لا يعني تجنب حقيقة الترابط المتبادل بين القطاعات كلها، بل تأكيدها بصورة أعمق وأدق، ذلك أن التنمية قبل أن تكون عملية نمو مخطط للإمكانيات المادية والاجتماعية لأي مجتمع كانت هي في البداية عملية تكاملية شمولية في الوقت ذاته.

إلا أننا في محاولتنا للتركيز على توضيح دور القطاع غير الرسمي في التنمية الحضرية، نجد أن التراث النظري تحكمه في النهاية رؤيتان أساسيتان وهما-:

الرؤية الأولى: تؤكد أن القطاع الحضري غير الرسمي له دور استيعابي ، وإنتاجي ، وخدمي في الحياة الحضرية ، وتقوم هذه الرؤية على فكرة معقولية العمل، وتحديد القطاع غير الرسمي كجماعة لها هدف.

•نظراً لما يحققه من تحولات هامة في الحياة الحضرية كتطوير الإنتاج، وفتح فرص جديدة للعمل وتحقيق توزيع عادل للثروة ، لذا فقد رأى ريمبل أن النشاطات الحضرية غير الرسمية في البيئة الحضرية لم تصبح مصدراً أساسياً للعمالة الجديدة فقط، ولكن أصبحت تنتج سلعاً استهلاكية بتكاليف منخفضة عن السلع المستوردة أو حتى التي تنتجها الأنشطة الرسمية أيضا.

وبالتالي فأصحاب هذه الرؤية ينظرون إلى القطاع غير الرسمي كنسق اجتماعي يقوم بوظيفة أساسية في مجتمع المدينة ، وينطوي على اعتبارات اجتماعية وثقافية تساعد على تسريع وتيرة التنمية ، وهذه الرؤية تبدو جلية في تحليلات الاتجاه الوظيفي التي تنظر إلى الأنشطة غير

الرسمية في مدن الدول النامية باعتبارها تشكل أداة للتحول نحو إستراتيجية تنموية تعتمد على الاستخدام الكثيف لأيدي عاملة.

ثالثاً: مفهومات الدراسة

1.مفهوم القطاع غير الرسمي

تعد مشكلة التعريف بالمفهومات وتحديدها من المشكلات التي تكتنفها صعوبات جمة في العلوم الاجتماعية ولاشك أن تناول مفهوم القطاع الحضري غير الرسمي بالتعريف يصاحبه ولاشك العديد من هذه الصعوبات التي تكمن في محاولات تعريف أي مفهوم اجتماعي واقتصادي تلك المتمثلة في اختلاف الرؤى والمنطلقات الفكرية والأيديولوجية لكل باحث حول هذا المفهوم.

•وعليه نلاحظ أن القطاع غير الرسمي له كثير من التعريفات التي تعكس موقف الباحثين من القضايا المجتمعية المختلفة بل وتعكس أيضا دائرة ومجالات اهتمام المتخصصين في العلوم الاجتماعية على اختلاف فروعها، فلا يوجد حتى الآن تعريف متفق عليه حول مفهوم القطاع غير الرسمي ، وتكاد كل دراسة تستقل بتعريف خاص بها تحدده بناء على الهدف من إجرائها.

•ولذا فالتراث النظري يضم كماً هائلاً من المفهومات المترادفة للقطاع غير الرسمي ويستخدم علماء الإدارة والتخطيط مفهومات أخرى منها القطاع غير المنظم أو قطاع الصناعات الصغيرة ومن جهة أخرى نجد أن علماء الاقتصاد يطلقون عليه مصطلح القطاع غير الرسمي أو القطاع الشعبي ، أما علماء الاجتماع فيطلقون عليه القطاع التقليدي أو الحرفي حيث وصف بارسونز هذا القطاع بأنه يتصف باحتكار أنماط معينة من العمل، كما يلعب التوارث المهني دوراً أساسياً في ترسيخ العلاقة بين العامل الحرفي ومهنته.

وتفرق بعض الدراسات بين نمطين فرعيين في إطار القطاع غير الرسمي هما: القطاع شبه الرسمي و القطاع غير الرسمي، حيث يشير الأول إلى الأنشطة المشروعة التي استوفت عمليات التسجيل الإجبارية ولكنها لا تلتزم بالنظم المحاسبية الرسمية، وقد تكون هذه الأنشطة محددة الموقع في ورشة أو مصنع أو منزل أو غير محددة الموقع مثل العمالة المتجولة المرخصة وسائقي السيارات وغيرهم.

•أما القطاع غير الرسمي فيضم نشاطات مشروعة وغير مشروعة، وتشمل الأنشطة المشروعة العمالة المتجولة، وخدم المنازل الدائمين والأعمال الإضافية أما الأنشطة غير المشروعة فتندرج في إطار ما يسمى بالقطاع الخفي مثل السوق السوداء، وتزييف العملة وتجارة المخدرات وتجارة السلاح وغيرها..

•ويقدم الجهاز المركزي للتعبئة والإحصاء تعريفاً محدداً للأنشطة غير الرسمية بأنها تلك الأنشطة التي تمارس بصفة أساسية، أنشطة غير مالية، ولا تلتزم بمسك الدفاتر والسجلات المحاسبية المنتظمة وإن كان بعضها يفعل ذلك عن طريق تقديم ميزانيات وحسابات منتظمة.

•وكذلك الأنشطة التي تزاول خارج المنشآت والخدمات العائلية وتشمل فئات متنوعة من العمالة كفئة من يعمل لحسابه ولا يستخدم أجيراً، وفئة العمالة لدى الأسر بأجر أو بدون أجر ، وفئة من يعمل لدى الغير بدون أجر ، وفئة من يعمل بأجر نقدي ، وفئة من يعمل لحسابه ويستخدم آخرين.

1.أنه نشاط مفتوح لمن يريد أن يعمل في مجاله ، فليست هناك قيود تحول دون ممارسة العمل فيه.
2.أنه نشاط اقتصادي يقوم على نمط من الملكية العائلية أو القرابية بشكل أساسي.

3.أنه نشاط اقتصادي صغير الحجم ولذلك فهو يعتمد على كثافة العمل واستخدام أدوات بدائية بسيطة.
4.أنه نشاط غير منظم يواجه منافسة شديدة من جانب القطاعين الرسمي الخاص والعام أو من الحكومة.

3.أنه نشاط اقتصادي صغير الحجم ولذلك فهو يعتمد على كثافة العمل واستخدام أدوات بدائية بسيطة.
4.أنه نشاط غير منظم يواجه منافسة شديدة من جانب القطاعين الرسمي الخاص والعام أو من الحكومة.

•وتأسيساً على ما سبق فإن التعريف الذي تتبناه الدراسة هو تعريف (أميرة مشهور وآخرون) بأن القطاع الحضري غير الرسمي كقطاع اقتصادي (إنتاجي وخدمي وتجاري) يضم وحدات لا تلتزم بتقديم بيانات دقيقة عن حجم نشاطاتها، ولا تؤدى ضرائب تذكر على أرباحها ، وإن كان بعضها يلتزم ببعض الإجراءات الرسمية مثل الحصول على رخصة مزاولة النشاط أو التأمين على العاملين ، وتتوفر في هذه الوحدات بعض الخصائص التالية أو إحداها-:

استكمال دور القطاع غير الرسمي في التنمية الحضرية
المحاضرة العاشرة

رابعاً: مفهوم التنمية الحضرية

•أن مفهوم التنمية شأنه شأن العديد من المفهومات التي لا تجد لها تعريفاً محدداً ومتفقاً عليه بين المشتغلين بالتنمية الاجتماعية والاقتصادية، فبينما تعرف التنمية باعتبارها عملية توافق اجتماعي ، يعرفها آخرون بأنها تنمية طاقات الفرد إلى أقصى حد مستطاع أو بأنها إشباع الحاجات الاجتماعية للإنسان أو الوصول بالفرد لمستوى معين من المعيشة أو أنها حالة مرغوب فيها سواء تم أو لم يتم تحقيقها في إطار اجتماعي يختلف عن سابقه.

•لذا فقد تم أخيراً ربط مفهوم التنمية بمصطلح التنمية البشرية باعتباره أحد المداخل الهامة في تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية الذي عرفه برنامج الأمم المتحدة الإنمائي عام ١٩٩٣ باعتباره العملية التي يتم من خلالها توسيع نطاق الخيارات المتاحة أمام الناس ، وهذا يتضمن تنمية الناس ، والتنمية من أجل الناس ، والتنمية بواسطة الناس.

•وتعني تنمية الناس الاستثمار في القدرات الإنسانية سواء في التعليم أو الصحة أو المهارة وبالتالي يستطيعون أن يعملوا على نحو منتج ومبدع، وتتطلب التنمية من أجل الناس أن يتم توزيع النمو الاقتصادي الذي يتحقق على نطاق واسع وعلى أساس عادل، وكذلك تعني التنمية بواسطة الناس أن تتاح لكل فرد المشاركة في عملية التنمية.

•ووفقاً لذلك فقد أكد تقرير التنمية البشرية لعام ١٩٩٤ بأن التنمية البشرية هي نموذج للتنمية يمكن لجميع الأفراد من توسيع قدراتهم البشرية إلى أقصى حد ممكن وتوظيف تلك القدرات أفضل توظيف ممكن لها في جميع المجالات مع المحافظة على خيارات الأجيال المتعاقبة وعدم استنزاف الموارد الطبيعية اللازمة لدعم عملية التنمية لحماية فرص الأجيال المقبلة في المستقبل.

•ويقدم أحد الباحثين تعريفاً شاملاً للتنمية الحضرية بشكل خاص باعتبارها مجموعة العمليات الدينامية المتكاملة التي تحدث في المجتمع الحضري من خلال الجهود الأهلية والحكومية المشتركة في إطار سياسة اجتماعية متكاملة تتمثل في تزويد الحضريين قدراً من المشروعات الاستثمارية والتكنولوجية والخدمات الاجتماعية مثل الصحة والتعليم والاتصال والمواصلات ، ويعتمد هذا على موارد المجتمع من أجل الوصول إلى ارتفاع مستوى معيشة الأفراد في المجتمع الحضري.

•وبناء على هذا فإن التعريف الذي تتبناه الدراسة للتنمية الحضرية يمكن تحديده فيما يلي-:
•أنها عملية حضارية ذات أبعاد مجتمعية شاملة تتم وفقاً لإرادة وطنية مستقلة من خلال التكامل بين القطاعين الرسمي وغير الرسمي لتحقيق تحويلات هيكلية في بنية المجتمع المتخلف بهدف زيادة معدلات النمو الاقتصادي وتوسيع الخيارات المتاحة أمام الناس وتحسين نوعية الحياة المادية والمعنوية لكل أفراد وفئات المجتمع الحضري.

•حيث ينظم العرف العلاقات بين العاملين داخل المنشآت وكذلك الأدوار والمكانات المهنية وممارسات ثقافة لإيقاع العمل ذاته، إذ غالباً ما يبدأ العمل بالاستفتاح وقراءة الفاتحة والدعوة بفتح الرزق.
•وهذا ما يوضح أن البنية التنظيمية لمنشآت القطاع غير الرسمي تقوم على التوارث المهني والتفاعل الاجتماعي والعلاقات القوية بين المشتغلين داخل منشآت القطاع غير الرسمي لأداء الأنشطة التي يمارسونها.

2.طبيعة العمل والإنتاج في القطاع غير الرسمي: من واقع المقابلات المتعمقة لكل من أصحاب الأنشطة غير الرسمية والعاملين فيها توصل البحث إلى وجود دور متميز للأنشطة الحضرية غير الرسمية بأنواعها المختلفة (الحرفية والتجارية والخدمية) في مجالات الإنتاج الحضري وتنوع السلع التي ينتجها هذا القطاع على النحو التالي- :

ولعل هذه النتائج التي أسفرت عنها المقابلات المتعمقة تؤكد رؤيتنا النظرية للأنشطة الحضرية غير الرسميةباعتبارها أنساقاً اجتماعية تقوم بوظيفة فعالة وأساسية في مجتمع المدينة وتلعب دوراً مهماً في التنمية الحضرية حيث تبين أن الصناعات الحرفية في الأنشطة غير الرسمية في منطقة الدراسة تنتج أنواعاً متعددة ومتنوعة من السلع الضرورية والأساسية للمجتمع الحضري والقرى المجاورة له.

ج- في مجال الأنشطة الخدمية: أكدت الدراسة على أهمية النشاط الخدمي في المجتمع الحضري حيث أنها تؤدي إلى التغلب على مشكلة نقص عمالة المنازل والعمالة الحرفية التي أصبحت ظاهرة تعاني منها الأسرة الحضرية ، فضلاً على أنها تقوم بتسهيل أداء الخدمات وتيسير الحصول على الاحتياجات الضرورية اليومية وبخاصة التي تبتعد عن مراكز الخدمات العامة والأسواق.

•مما يجعل المدينة في أمس الحاجة لتنمية هذه الأنشطة ونشرها جغرافياً لتغطي كافة احتياجات القطاعات الحضرية الحديثة، وهكذا يتضح من خلال معطيات الدراسة الميدانية تأكيد ما ذهبت إليه تحليلات الاتجاه الوظيفي من أن القطاع الحضري غير الرسمي له دور استيعابي وإنتاجي وخدمي في الحياة الحضرية.

٣.طبيعة العلاقة بين القطاع الرسمي والقطاع غير الرسمي: اتضح من الدراسة أن العلاقة بين القطاعين الرسمي وغير الرسمي هي علاقة تبادلية – تنافسية، بمعنى أن القطاع غير الرسمي يعتبر مكملاً للقطاع الرسمي في عملية التنمية الحضارية من حيث إنتاج السلع وتوفير الخدمات، في الوقت الذي تحدث فيه منافسة منتجات كلا القطاعين.

•غير أن هذه العلاقة تتفاوت من نشاط إلى آخر سواء فيما يتعلق بالاعتماد على القطاع الرسمي في تدبير احتياجات المواد الخام أو من حيث المنافسة بين منتجات كلا القطاعين، وهذا ما يؤكد ضرورة مراعاة علاقة الترابط بين القطاعين الرسمي وغير الرسمي في ظل تعايشهما في المجتمع الحضري.

•والعمل على تعزيز الجوانب والآثار الايجابية المتولدة عن الأنشطة غير الرسمية وإزالة كافة القيود والعراقيل التي تواجه تطوير فاعلية وكفاءة هذه الأنشطة خاصة في ظل الدعوة إلى تحرير الاقتصاد المصري من القيود والاتجاه نحو تدعيم المشروعات الصغيرة لتوفير فرص عمل للشباب.

4.الدور الذي يلعبه القطاع غير الرسمي في تنمية المجتمع الحضري: وفي هذا السياق تكشف معطيات الدراسة الميدانية على أن الأنشطة الحضرية غير الرسمية بأنماطها المختلفة تقوم بعدد من هذه الأدوار والوظائف في توفير فرص عمل تساعد على مواجهة مشكلة البطالة الحضرية.

•كما تساعد على توفير دخول مناسبة لفئات مختلفة من العاملين في هذا القطاع طبقاً لمستوياتهم ومهاراتهم المهنية فضلاً عن قدرة هذه الأنشطة في إكساب العاملين مهارات فنية وحرفية عالية، هذا إلى جانب الدور الذي يمكن أن يلعبه العاملون في تلك الأنشطة في مجال الحياة السياسية الحضرية، وهذه الأدوار والوظائف يمكن استخلاصها من خلال رؤية كل أصحاب الأنشطة غير الرسمية والعاملين فيها ومحاولة المقارنة بينهم على النحو التالي- :

•إلا أن العاملين في القطاع غير الرسمي يساهمون أيضا في خلق هذه المشكلات عن طريق عدم إتباعهم للقوانين واللوائح المنظمة لأنشطتهم فضلاً عن التهرب من الضرائب أو عدم التأمين على العمال الذين يعملون لدى أرباب هذه الأنشطة ، وعلى هذا فإن حل هذه المشكلات يتطلب التعاون بين الأجهزة الحكومية والعاملين بالأنشطة غير الرسمية والتكامل بينهم.

•ومدى كفاءتها وجودتها ، وسهولة الحصول على منتجاتها ، وانخفاض تكلفتها الاقتصادية، ويؤكد الواقع الميداني لمجتمع الدراسة أن القطاع غير الرسمي واسع الانتشار وعميق الجذور في بيئة المجتمع الحضري ، وجدير بالثقة والكفاءة ومتنوع الأنشطة، ومن ثم فإن القطاع غير الرسمي سيظل جزءاً هاماً في منظومة الاقتصاد الحضري.

•حيث يحتل موقعاً حيوياً في الخريطة الإنتاجية للمجتمع حيث له أهمية خاصة في تغذية كافة الاحتياجات الأساسية التي تتطلبها معظم الفئات الشعبية والطبقات الاجتماعية المتميزة بالإضافة إلى مساهمته في سد متطلبات أساسية في السوق الحضر ، وبناء على ذلك نعرض أهم تصورات التي طرحها المبحوثين لتطوير القطاع غير الرسمي لتتضح لنا معالم صورته المستقبلية في ظل التوجهات الجديدة للاقتصاد على النحو التالي-:

أولاً: مفهوم الفئات الهامشية وطبيعة نشأتها ومداخل دراستها.

بداية نحاول تعريف الفئة كما وردت في قاموس علم الاجتماع بوصفها مجموعة أو نمط في إطار مجموعة تصنيفية، وتستخدم لتصنيف الأفراد المعوزين أو الفقراء ، وذلك لتدبير برامج العمل معهم لإعادة تأهيلهم أو إعانتهم أو تدبير الحياة المعيشية لهم.
على خلاف ذلك يعرف "مشيل مان" الفئة من خلال الشخص الذي يتولى تحديدها، فعلى سبيل المثال الأشخاص الذين يحصلون على أجور في مستوى معين يمكن اعتبارهم فئة عند تحديد ضريبة الدخل، ومن هنا فإن الفئة تقارن بالجماعة حسب طبيعة العلاقة بين أعضائها.

•وحسبما يذهب التنظير السوسيولوجي للماركسية الكلاسيكية فإن مصطلح الفئة يظهر ثلاث معان على النحو التالي-:

1.يمكن أن يسمى بالفئة ذلك الجزء المحدد من طبقة والذي يمكن تمييزه على أساس معيار مستوى الدخل أو النشاط الاقتصادي أو المعيار العرقي.
2.أن الفئة بأجنحتها المحددة تنتمي لطبقات اجتماعية مختلفة وتمتاز بتماثل ظروف المعيشة.
3.أن الفئة تمثل جماعة من الناس والتي تظهر كما لو كانت خارج نطاق التقسيمات الطبقية الأساسية وتمتاز بنمط محدد وواضح للمعيشة.

أما عن مفهوم الهامشية فإنه يشير إلى أولئك الأفراد الذين يعيشون على هامش أية طبقة اجتماعية ، وعلى هذا فقد استخدم مفهوم الرجل الهامش ليشير إلى ذلك الفرد الذي ينتمي إلى ثقافتين أو مجتمعين دون أن يندمج في إحداهما اندماجاً كلياً.
وهذا ما جعل بعض الباحثين يربطون بين الهامشية والفقر والشعور بالعزلة الاجتماعية، ولقد أصبحت الهامشية من الملامح المميزة والبارزة في الدول النامية في الوقت الحديث، مما جعل الكثيرين من الباحثين وكذلك الصحفيين يهتمون بالحديث عنها.

•وفي هذا السياق يرى "ويلسون" أن الفئة الهامشية تقع خارج نطاق النظام المهني وعرفها بأنها مجموعة من الناس ينقصهم التدريب والمهارة العالية ويعانون من البطالة السافرة والبطالة المقنعة ، كما أنهم خارج نطاق قوة العمل الفعلية ، كما يشير إلى الأسر التي عاشت لفترات طويلة تعاني من الفقر وتبعية الرفاهية.

ويعتقد "نان" أن الهامشية هي الابن للتنظيم الرأسمالي حيث تعمل الرأسمالية على تهميش قطاعات كبيرة من الفقراء ممن يعملون في مجال الحرف الصغيرة والخدمات الشخصية والتجارة البسيطة وتحجيم دورها في المجتمع، والهامشية بهذا المعنى هي الوجه الآخر للفقر والبؤس وانعدام العدالة الاجتماعية ، حيث تضم هذه الشرائح الكثير من فقراء الحضر الذين يلوذون بالأحياء الفقيرة، ومناطق وضع اليد فيشكلون فئات تشتغل بالأعمال العارضة والمهن غير الفنية.

•حيث لها ثقافتها الفرعية ووعيها بوجودها وأساليبها الخاصة في التعامل وفلسفتها الخاصة للحياة ، غير أن أيديولوجية المجتمع تعد مسئولة إلى حد كبير عن تهميش أدوارها وتحجيم فاعليتها في المجتمع، كما أن بعض هذه الفئات هي شرائح مهاجرة من الريف، وهي ترضى بالعمل في أي مهنة والسكن في أي منطقة مع استخدام قوتها البدنية وأدوات الإنتاج المتخلفة فضلاً عن الاعتماد المتزايد على البيئة الطبيعية، وغاية ما تبتغيه هذه الفئات أن تتاح لها فرصة بيع قوة عملها كسلعة في سوق العمل غير أنها تتعرض عادة للظلم والقهر وتعاني من البطالة.

هذا وقد اختلفت المنظورات السوسيولوجية في تفسير ظاهرة الهامشية الحضرية، فالهامشية في ظل الرؤية الماركسية تفهم في ضوء الفائض النسبي في قوة العمل، وهي خاصية جوهرية من خصائص النظام الرأسمالي وبالتالي فهم يماثل بين الفئات الهامشية ومفهوم الطبقة الرثة أو حثالة الطبقة على حد تعبير "كارل ماركس" على أساس أنهم يعيشون في ظروف صعبة ومستغلة من القوى السياسية والاقتصادية في المجتمع وليس لهم دوراً إنتاجياً محدداً غير أن الكثير من المفاهيم والتصورات المرتبطة بالهامشية خضعت للتطوير والتعديل على ضوء مقولات الماركسية المحدثة.

بينما يركز منظرو النظرية الوظيفية على الخصائص الاجتماعية والاقتصادية للفقراء والمناطق الهامشية، وفي إطار هذه النظرية يبدو أن للهامشيين وظيفة اجتماعية حيث يختارون المهن

والأعمال التي توجه لخدمة الفئات والطبقات الأخرى من المجتمع ، كما أنهم يقنعون بالفتات وبمعنى آخر فلولاهم ما تيسر للمجتمع أن يحصل على السلع الرخيصة الثمن.

ثانياً: الفئات الهامشية وظاهرة الفقر وأساليب التكيف معه.

يشير بعض الباحثين أن الفئات الهامشية الحضرية ترتبط بالفقر والحرمان المادي ، وتقيم في المناطق المتخلفة ذات المستوى السكني المنخفض، تلك المناطق التي بها أعداد كبيرة من الناس رغم أنها مناطق ضيقة المساحة وغير ملائمة للحياة، كما ترمز هذه المناطق دائماً إلى غياب العدل الاجتماعي وعدم المساواة وعدم المسئولية الجماعية كما تدل على عدم التكافؤ الاجتماعي بين المواطنين.

كما أن الفئات الهامشية التي تعيش في هذه المناطق والتي تتصل مباشرة بظاهرة الفقر تشكل لنفسها ثقافة فرعية ضيقة تجتهد أن تحافظ على هويتها الثقافية والاجتماعية وتشتق لنفسها أساليبها المميزة في الحياة، وقد أكد ذلك "أوسكار لويس" إلى أن هؤلاء الأفراد لهم خصائص ثقافية معينة تفصلهم عن بقية أفراد المجتمع ، وتنتقل هذه الخصائص من جيل إلى جيل وتحافظ على الطابع المميز لحياتهم.

ثالثاً: الفئات الهامشية والهجرة الريفية الحضرية.

إن الفئات الهامشية التي تعاني من البطالة والفقر والأمية في المجتمع الريفي تهاجر إلى المدينة لتستمر الهامشية في صورتها الحضرية في الأطراف والأحياء المتخلفة. لاشك أن المهاجرين يستقرون في المناطق العشوائية عندما وجدوا أن أبواب المدن مغلقة أو ضيقة ووقفوا على حدودها ولم يدخلوا بوابة التحضر ولم يندمجوا فيه، فالهجرة الريفية المتدفقة والأبواب المغلقة خلقت من جديد ثنائية (الريف – الحضر) داخل المدينة وليس خارجها وبتلك الثنائية فالأحياء الهامشية إلى جانب الأحياء المنظمة والفئات الهامشية إلى جانب الفئات المتميزة.

والأعمال الهامشية وطبيعتها الرثة تتداخل مع الأعمال الإنتاجية والطبقة العاملة وازدواجية الانتماء في ظل المؤسسات الحديثة، وقد نقلت الهجرة الريفية أساليب الجماعة المهاجرة وقيمها وثقافتها وأبقت قدرات المدينة المحدودة المهاجرين على ما هم عليه، ولم تبدل أوضاعهم كثيراً فراحوا ينشئون عوالمهم الخاصة بهم على حدود المدن أو بعض أجزائها كيفما اتفق.

وبالتالي تعيش الفئات الهامشية في المدينة حالة من الازدواجية تمتد لتشمل كل جوانب الحياة الاقتصادية والاجتماعية-:

•فمن جهة الحياة الاقتصادية: هم يعيشون في قطاع اقتصادي غير مستقر وغير قادر في ذات الوقت على الاستفادة من إمكانات هذه المناطق (على الأقل من حيث استخدام الأراضي بها) فضلاً عن عدم تمكنهم من امتصاص تلك الطاقة البشرية (المتمثلة في السكان) واستغلالها بتهيئة هذه البيئة المتخلفة تهيئة أفضل تعود على صالح المجتمع المتخلف وسكانه.

المحاضرة الثانية عشر
استكمال الفئات الهامشية والتنمية الحضرية المستدامة
دراسة اجتماعية تحليلية

رابعاً: الفئات الهامشية الحضرية وأزمة الإسكان.

•إن المسكن كما يقول علماء الاجتماع ليس مأوى فقط وإنما رمز للخصوصية أو المكانة والتمايز ، فهو يعكس إلى حد بعيد شخصية قاطنيه وشخصية المجتمع الذي يوجد فيه ومستواهم التكنولوجي والاقتصادي والاجتماعي.

•ومن ثم فالمسكن يعد من الحاجات الأساسية للإنسان، ومن أجل هذا فقد أصبحت مشكلة الإسكان الحضري واحدة من المشاكل المحورية التي تشغل بال رجال السياسة الاجتماعية والاقتصادية في الدول النامية، وذلك لأن الهدف من توفير المسكن لا ينحصر في مجرد أنه مكان إقامة أو بناء مباني صماء في المدن، بل إن ارتباط هذه المشكلات بالحاجات الاجتماعية التي ينبغي أن يشبعها المجتمع.

•وقد أرجع علماء الاجتماع الحضري هذه المشكلة (الإسكان) إلى عدم وجود توازن بين الموارد المتاحة للإسكان والخدمات الحضرية من جهة، والانفجار السكاني وهجرة الريفيين إلى المراكز الحضرية وتضخمها من جهة أخرى، فالإمكانيات الاقتصادية لا تستطيع أن تلاحق النمو الحضري السريع، ويتضاعف العجز الاقتصادي نتيجة لوجود قصور في المرافق والخدمات وأجهزة التخطيط الحضري.

•وعليه يكون العجز في مواجهة أزمة الإسكان باعثاً نحو قيام العشوائيات الحضرية من منطلق المسكن أو المأوى ، لكن المشكلة لا ينظر إليها في بعده المنفرد القائم على توفير السكن، وإنما تصبح المشكلة بعد ذلك أكثر تعقيداً وتشابكاً في أبعاد كثيرة اقتصادية واجتماعية وثقافية.

•لكننا ينبغي ألا يغيب عن ذهننا أن سبب المشكلة ارتبط منذ البداية بالتضخم السكاني وعدم توازناته مع الموارد والفرص المتاحة أمام الناس ، وليس أدل على ذلك من الظروف المتدنية التي يعيشها سكان المناطق العشوائية (داخل مباني غير مخططة .... الخ).

•وبالرغم من إحراز معدلات عالية من التقدم في التعاون مع مشكلات الإسكان الحضري في بعض الدول النامية، إلا أنه من المحتمل في دول كثيرة أخرى أن يصبح العجز في توفير المساكن أكثر خطورة في العقود القادمة ، حيث أنه كلما ازداد التحضر ازداد تركز الفئات الهامشية الفقيرة في المدن.

•وفي إطار هذا الوضع المعقد للمشكلة الإسكانية في البلاد النامية أصبح التخطيط العمراني للمناطق العشوائية والهامشية أمراً لابد منه ، وأداة عمل واجبة، وأن هذا التخطيط العمراني يجب أن يهتم بتخطيط الأحياء وتوفر الخدمات وإقامة المباني السكنية الملائمة صحياً واجتماعياً واقتصادياً.

كما يجب أن يستند التخطيط الحضري العمراني إلى سياسة واضحة في مجال التنمية الحضرية، فلابد للمخطط أن يعرف:
هل سياسة الدولة نحو تطوير المناطق الهامشية الحضرية تتجه اتجاهاً صريحاً نحو الحد من الهجرة أو تضع الضوابط لهذه الظاهرة؟ وإذا كانت سياسة الدولة تعمل على الحد من الهجرة، فما هي القرارات التي اتخذت في هذا الصدد؟ و إذا تبنت الدولة ترك الهجرة لرغبات الأفراد فما هي سياستها لاستيعاب هؤلاء المهاجرين إلى المدن وإيجاد مأوى لهم؟

•وإعداد خطط حضرية ملائمة ومواجهة جماعات المصالح ذات التأثير الكبير وتمويل هذا التطوير عن طريق إحداث تعديلات في النظام الضريبي لصالح ذوي الدخل المحدود وبدون هذه المتغيرات وغيرها فإن الإقدام على تطوير هذه المناطق الهامشية لا يخلو من مخاطر ومشكلات.

خامساً: التنمية الحضرية المستدامة وإدماج الفئات الهامشية في الحياة الحضرية.

•لاشك أن تناول مفهوم التنمية الحضرية المستدامة لابد أن يتم في إطار المفهوم الأوسع والأشمل وهو مفهوم التنمية البشرية باعتبار أن مفهوم التنمية الحضرية المستدامة جزءاً من كل وهو التنمية البشرية.

•هذا ما يوضح أن مفهوم التنمية البشرية يعبر في إطاره الكلي عن رؤية طويلة الأجل وواعدة، ويختلف عما سبقه من مفاهيم تنموية على اختلاف مداخلها ومحاورها، فالتنمية البشرية ذات رؤية شاملة وتطرح إستراتيجية تبدأ وتنتهي بالناس.

•وفي ضوء مفهوم التنمية البشرية فقد حدد دليل للتنمية البشرية مكون من ثلاثة عناصر أساسية تتمثل في الصحة والتعليم والدخل، ويعبر عن التحسن في الصحة بدلالة العمر المتوقع عند الميلاد ، وفي التعليم بواسطة من يعرفون القراءة والكتابة من السكان ، أما الدخل فيقاس من خلال متوسط نصيب الفرد من الناتج القومي الإجمالي.

•خاصة وأن تجارب معظم الدول النامية أظهرت أنه بالرغم من النمو الاقتصادي الذي تحقق في هذه البلدان فإنها ظلت تعاني من زيادة أعداد الفقراء، وبؤس أحوالهم المعيشية وبات واضحاً أن التنمية لا تعني الزيادة في متوسط دخل الفرد فحسب بل تستهدف القضاء على الفقر.

•ولذا فقد زاد الاهتمام العالمي والمحلي الواضح باتجاه التنمية البشرية في تقرير عام ١٩٩٧ بتفسير ظاهرة الفقر بوصفها أكثر من مجرد انخفاض الدخل بل تتضمن الحرمان من معظم الفرص، والخيارات المتاحة للتنمية البشرية التي تتراوح فيها مدة العيش فترة أطول وبصحة جيدة واكتساب خبرات ومهارات من خلال المعرفة ، وإشباع الحاجات الأساسية إلى ضمان الحرية والكرامة والاحترام الذاتي من الآخرين.

•كما واصل تقرير التنمية البشرية بالقضايا المهمة التي عادة ما تترتب على سياسة التكيف الهيكلي في البلدان النامية والتي عرضت على قمة التنمية الاجتماعية في عام ١٩٩٥ وهي البطالة والفقر والتشرذم الاجتماعي ، وفي سياق تطوير مفهوم التنمية البشرية فقد تم التوصل إلى مجموعة من المعايير المقترحة لقياس التنمية البشرية على النحو التالي-:

•ومن خلال ذلك يتضح أن هناك علاقة بين التنمية البشرية والتنمية المستدامة ومن هنا فقد أشار تقرير التنمية البشرية ١٩٩٤ إلى مفهوم التنمية البشرية المستدامة والتي تعني أن يكون لدينا التزام أخلاقي بأن نفعل من أجل الأجيال القادمة ما فعلته الأجيال السابقة من أجلنا على الأقل، ولاشك أنه يترتب على مثل هذا الالتزام مسئوليات كثيرة منها المحافظة على الموارد الطبيعية من خلال عدم استنزافها، وألا يكون استهلاك الأجيال الحالية بدون ديون اقتصادية تستقطع من مدخرات الأجيال القادمة.

•أي أن التنمية المستدامة هي التنمية التي تفي بالاحتياجات الراهنة دون أن تكون على حساب قدرة الأجيال المقبلة على الوفاء باحتياجاتهم الذاتية ، وبالتالي فالتنمية المستدامة يعد مفهوما أوسع نطاقاً من حماية البيئة حيث أنها تتضمن الاهتمام بالأجيال القادمة من أجل العيش بصحة جيدة والتكامل مع البيئة على المدى الطويل من خلال الحفاظ على نوعية الحياة (وليس فقط نمو الدخل).

•وفي ضوء التطوير المستمر لمفهوم التنمية النوعي فقد ظهر أيضا مفهوم التنمية الحضرية المستدامة والتي يمكن الإشارة إليها بشكل عام بوصفها عملية دينامية تستجيب للضغوط الاقتصادية والاجتماعية والبيئة الحضرية المتغيرة.

•وهذا يعني أن التنمية الحضرية المستدامة تتضمن النشاطات المتصلة بتنمية القطاع الحضري والتي تتسم بالاستمرارية إلى عقود قادمة ، كما أن الهدف النهائي لها يتضمن تحقيق التوازن بين الأبعاد الفيزيقية والاقتصادية والاجتماعية في إطار المدخل الشمولي.

•وهكذا تشير التنمية الحضرية المستدامة بشكل أكثر تحديداً باعتبارها التنمية المجتمعية والمحلية التي تفي بالاحتياجات الحاضرة دون إحداث نقص في الموارد المتاحة ، وبالتالي فقد حظي هذا المفهوم بالاهتمام في كل المجتمعات نظراً لأن الاتجاهات التقليدية في التنمية أصبحت تساهم في خلق المشكلات البيئية والمجتمعية أكثر مما تحلها.

•وهذا ما يوضح أن التنمية البشرية تعد عنصراً حيوياً من أجل التنمية الحضرية المستدامة ، وأن قضايا البيئة هي جزء لا يتجزأ من جميع أنشطة التنمية المستدامة، وفى هذا الصدد اقترح "تيم هوني" أربع مبادئ موجهة للإدارات الحكومية لتحقيق التنمية الحضرية المستدامة في ظل العولمة ، وتلك المبادئ التي يمكن مناقشتها في سياق تعاون المدن للمدن على النحو التالي-:

•وعلى هذا فالتنمية الحضرية المستدامة تعتمد على العلاقات المتبادلة بين ما هو اقتصادي وبيئي واجتماعي ، وهذا يتضمن تدخل في توفير الخدمات الأساسية كالتعليم والصحة والتغذية وتنظيم الأسرة وأيضاً النمو المتزايد في البنية الأساسية والإسكان ، وهذا يتطلب التكامل بين البناءات التنظيمية والإدارية والاهتمام بتطوير الإجراءات التخطيطية المشتركة.

•بل يجب أن يشارك الجميع في طرح بدائل التطوير، وأن آراء البشر من الفئات الهامشية أحد مدخلات صنع قرار التنمية والتطوير وتعنى المشاركة في أحد معانيها أن يشارك الأفراد بأسلوب ما في السيطرة على المبادرات التنموية والقرارات والموارد التي تؤثر عليهم ، بل سار الحديث اليوم يركز على مفهوم التنمية بالمشاركة.

•الذين حاولوا أن يشكلوا ثقافة هذه المناطق بما يتماشى مع قيمهم الخاصة من ألوان الابتزاز والغش والتطرف ونمط من الثقافة الهامشية العنيفة التي تنطلق من عمليات للتكيف العنيف مع بيئة مولدة للبؤس فتنتشر مظاهر الانحراف والإدمان والجريمة وتشكيلات الانفصال لكي يصبحوا جزءاً لا يتجزأ عن نسيج الحياة الاجتماعية الحضرية، وهذا يتطلب رؤية سياسية واجتماعية متكاملة لإدماج وتطوير الفئات الهامشية في المجتمع الحضري من خلال الركائز التالية-:

1.ضرورة تكاتف جميع المؤسسات التربوية والسياسية الرسمية مع الجمعيات الأهلية والأحزاب السياسية بالتثقيف السياسي والوعي الاجتماعي للعمل على دمج الفئات الهامشية داخل المجتمع ومساعدتهم على التكيف والاندماج مع حياتهم وبما لا يتعارض مع أهدافهم الخاصة ومعايير وقيم المجتمع الحضري.

5.نظراً لأن ظاهرة الهامشية الحضرية تتسم بتعدد وتشابك أبعادها وجوانبها المختلفة وتباين مشكلاتها الاقتصادية والاجتماعية والسياسية فإن هذا يفرض ضرورة التعامل مع هذه الظاهرة من منظور يعبر عن التكامل بين مختلف فروع العلوم الاجتماعية والمشتغلين بها، كما يفرض ضرورة التكامل بين المراكز العلمية والجامعات من أجل دراسات وبحوث لهذه الظاهرة وبين أجهزة الدولة المعنية من أجل التوصل إلى حلول لتلك الفئات الهامشية.

المحاضرة الثالثة عشر

مدخل

أولاً: مفهوم التصنيع

ثانياً: استراتيجيات التصنيع

•لذا فإن القصد من وراء الاهتمام بمناقشة العلاقة ثلاثية الأطراف بين التصنيع والمجتمع كأحد محاولات علم الاجتماع الصناعي وإنما تتعدى ذلك إلى محاولة معرفة العلاقة التبادلية بين التقدم الصناعي من ناحية والتحضر والمجتمع المحلي من ناحية أخرى ، فكلاهما يتأثر ويؤثر في الآخر.

•حيث أن عملية التصنيع تؤثر بشكل قوى على البنية الاجتماعية وشبكة العلاقات داخل المجتمع الإنساني ويتسم هذا التأثير بعدم التكافؤ الكمي والكيفي بين مجتمع وآخر على المستوى العالمي ، لذا فقد اهتم علماء الاجتماع في دراستهم للمجتمع والصناعة نتيجة ثلاثة عوامل أساسية هي-:

1.الاهتمام العالمي بعملية التصنيع حتى صارت تشكل العالم الذي نعيش فيه وتضفي عليه روح الصناعة كأسلوب حياة.

2.ظهور ما يعرف بمجتمعات العالم النامي عقب الحرب العالمية الثانية والاعتماد الرئيسي لهذه المجتمعات على عملية التصنيع في تحقيق التنمية الشاملة ، وما يصاحب هذا الاتجاه من تغيرات سياسية واقتصادية للعالم النامي.

3.التغير الاجتماعي الذي يتصف بالتعقيد والدينامية العالمية خاصة داخل المجتمع الصناعي المتقدم الذي يمر حالياً بمرحلة انتقالية يصفها الكثير من الباحثين مثل "جيمس بيرنهام" بالتحول من المجتمع الرأسمالي إلى مجتمع المعلومات.

•ودراسة العلاقة بين التصنيع والتحضر والمجتمع يمكن أن تقسم على النحو التالي- :
•مفهوم التصنيع- والاستراتيجيات المطروحة للتصنيع- والآثار الناجمة عن التصنيع -والعلاقة بين التصنيع والتحضر والمجتمع.

أولاً: مفهوم التصنيع

•في البداية يجب أن نفرق بين مفهومي النمو الصناعي والتصنيع، فعلى الرغم من أنهما متقاربان في البداية إلى حد كبير إلا أنهما غير متطابقين تماماً، فالنمو الصناعي ارتبط بدرجة كبيرة بمعايير كمية مثل تأثير نمو الإنتاج الصناعي، وعدد المشاريع الصناعية الجديدة، وتزويد هذا المشاريع بالتكنولوجيا والأيدي العاملة.

•أما التصنيع فإنه يرتبط بالمعايير الكيفية أكثر من ارتباطه بالمعايير الكمية:
فهو يعني ارتباطه بمنهج تصنيعي معين، وكذلك زيادة نصيب الصناعة في الاقتصاد القومي ونشوء مشاريع جديدة وإقامة قاعدة تكنولوجية حديثة ونمو الإنتاجية للعمل ، ووفقاً لذلك يمكن القول أن الخبرة التاريخية للعالم النامي توضح في كثير من الأحيان أنه عرف صناعة بلا تصنيع.

•وعلى هذا فإذا كان للتصنيع أهمية متعاظمة في صياغة الهيكل الاقتصادي فإنه ينطوي على أهمية اجتماعية عظيمة جداً ، إذ أنه يعمل على تحويل البنية الاجتماعية الاقتصادية للمجتمع، وإحداث تغيرات عميقة في تشكيل خريطة الطبقات الاجتماعية كنمو الطبقات الرأسمالية، واضمحلال الطبقات الإقطاعية وشبه الإقطاعية وزيادة عدد ودور البيروقراطيات والطبقة العاملة وتغيير نمط حياة مختلف فئات السكان، وعملية إعادة توزيع الدخل القومي بين الطبقات الاجتماعية في الريف والمدينة.

•لذا يوجد اتفاق عام على التعريف الذي وضعته لجنة الأمم المتحدة للتنمية الصناعية عام ١٩٦٣ <u>للتصنيع بوصفه</u> :عملية من عمليات التنمية الاقتصادية تتم بمقتضاها تعبئة جزء من الموارد القومية من أجل إقامة هيكل اقتصادي محلي متنوع ومتطور تكنولوجيا، وقوامه قطاع تحويلي دينامي يتيح كلاً من أدوات الإنتاج والسلع الاستهلاكية ، ومؤمن معدلاً مرتفعاً من النمو الاقتصادي ومن التقدم الاقتصادي والاجتماعي.

•وتتضمن موسوعة العلوم الاجتماعية تعريفاً دقيقاً للتصنيع بوصفه عملية تحويل اقتصاد تهيمن عليه الزراعة إلى اقتصاد يسهم في تصنيع السلع إسهاماً مطرداً في الإنتاج الكلي والصادرات، ويلزم على ذلك بالضرورة تناقص نصيب العاملين بالزراعة من حيث النسبة المئوية وزيادة نسبة العاملين في الصناعة.

•فضلاً عن وجود بعض الخصائص الأخرى مثل درجة كبيرة من تقسيم العمل، والتخصص واستخدام الآلة الكيميائية التي تسير بالبخار وكذلك التطبيق النظامي للعلم والتقنية في منظمة الإنتاج إلى جوهر التصنيع ، الذي هو طريقة لتنظيم الإنتاج بهدف التقليل من التكلفة الفعلية في كل وحدة من وحدات السلع المنتجة والخدمات.

ثانياً: استراتيجيات التصنيع

•في الواقع أن الخيارات الإستراتيجية في التصنيع التي اتبعتها الدول النامية في الوقت الحاضر وفي الماضي القريب تتمثل في نمطين كبيرين لاستراتيجيات التنمية ويرتبطان بثنائية التحديث والتبعية وهما التصنيع بدل الاستيراد أو ما يسمى بسياسة إحلال الواردات ، والأخرى إستراتيجية التصنيع الموجه للتصدير أو ما يطلق عليه إستراتيجية تشجيع أو تنمية الصادرات.

١.التصنيع بديل الاستيراد

•تدور فكرة هذه الإستراتيجية حول قضية أساسية مؤداها: أنه بدلاً من التخصص في إنتاج المواد الأولية للتصدير علينا أن نحد من استيراد السلع المصنعة والعمل على تصنيعها كلها أو بعضها على الأقل محلياً، ولا يعني هذا التصنيع الثقيل أو الأساسي (مثل الصلب) على الأقل في البداية.

•وتأخذ هذه الإستراتيجية الإحلال محل الواردات في صورتين أساسيتين وهما-:

أ- **الأولى تتعلق باستبدال الواردات من السلع الاستهلاكية النهائية:** وفي هذه الحالة يمنع الاستيراد من السلع المصنوعة محلياً بينما يتم توسيع الاستيراد من واردات السلع الوسيطة الرأسمالية ، أي بينما تحقق الاعتماد على الذات نسبياً في السلع الأولى تزداد التبعية للخارج في السلع الأخرى.

ب- **الثانية تتعلق بإحلال الواردات من السلع الاستهلاكية وعدد من السلع الوسيطة والرأسمالية :** تلك التي تسمي مرحلة الاستفاضة عن الواردات.

•وعلى هذا فإن إستراتيجية التصنيع من خلال الإحلال محل الواردات هي إستراتيجية تهدف إلى إنتاج وطني عوضاً عن المواد الصناعية المستوردة بغرض إشباع الاحتياجات الداخلية للمواطنين.

•لكن إستراتيجية التصنيع كبديل للاستيراد قد واجهت بعض الصعوبات والمشكلات ومنها-:

١.غياب التنافس الذي يؤدى إلى تقليل الجودة فضلاً عن أنه لا سبيل إلى الاختيار العقلاني لفروع الإنتاج التي ينبغي أن يتخصص فيها المجتمع ، كذلك الأسواق التي تتمتع بالحماية فإنها تميل إلى أن تبقى بعض السلع تحت الحماية مما يؤدى إلى مجموعة من الحواجز الجمركية التي لا تحقق أي وظيفة سوى إعاقة التجارة والنمو.

٢.أن إقامة الصناعات تتطلب سلعاً رأسمالية يتعين بالضرورة استيرادها وهذا يعني أنه يجب دفع ثمنها بالعملة الصعبة.

٣.أما المشكلة الثالثة تتمثل في أن هذه الإستراتيجية قد سلمت بالنمط القائم للطلب ، فلو قام التصنيع بتوفيرها حتى لا يستوردها السوق المحلي، فما هي تلك السلع من الناحية العلمية؟

٢.التصنيع الموجه للتصدير

•قد أدت أزمة وانهيار التصنيع بديلاً للاستيراد أو الإحلال محل الواردات إلى مدخل مغاير تماماً ظهر في أواخر الستينيات وأوائل السبعينيات من القرن العشرين وخاصة في أمريكا اللاتينية وشرق آسيا ، وتلك الإستراتيجية تدعو إلى الإنتاج من أجل السوق العالمي بدلاً من تلبية المطالب المحلية باعتباره وسيلة للنمو من خلال فكرة الميزة المقارنة أو النسبية.

•وتقوم هذه الإستراتيجية على الاستفادة من المواد الأولية المتاحة لديها ومن الأيدي العاملة الرخيصة في بناء صناعات يوجه إنتاجها أساسا إلى التصدير دون أن يستبعد استهلاك جزء منه في الأسواق المحلية ، ولإقامة هذه الصناعات ينبغي أن يتم التعرف على الأسواق التي سيتم التصدير إليها، وعلى نمط الاستهلاك السائد فيها، ثم تشجيع رؤوس الأموال الأجنبية لإقامة الصناعات على أراضي الدول النامية سواء بالمشاركة مع رأس المال المحلى أو بإقامة مناطق حرة تتخطاها وتبتعد عنها النواحي الجمركية والضريبية والرقابة على الأسعار.... الخ.

•ومع هذا فقد لقيت إستراتيجية التصنيع من أجل التصدير قبولاً على نطاق واسع ، وقد شرعت دول كثيرة أخرى في العالم النامي في إقامة مناطق لصناعة الصادرات وهي مناطق يدعى إليها المستثمرون الأجانب بأفضل الشروط (مثل توفير البنية الأساسية والإعفاءات الجمركية والإعفاءات من الضرائب والسماح بالترحيل الكامل للأرباح إلى الخارج...الخ) لاستخدام العمالة المحلية الرخيصة لإنتاج سلع صناعية خفيفة للتصدير، وهم بذلك يأملون تكرار التجربة الناجحة للبلدان حديثة التصنيع.

•لكن في الواقع أن تصنيع الصادرات والتصنيع الموجه للتصدير في بلدان كثيرة من الدول النامية سوف يتحول إلى خدعة سلبية قاسية وطريق مسدود لا يقل انغلاقاً عن التصدير التقليدي للمنتجات الأولية ، فسوق العالم الغربي محدود وراكد ومشبع حالياً ، وأغلب البلدان التي تقيم مناطق تصنيع الصادرات ليس لديها ما تقدمه سوى العمل الرخيص.

•وهكذا يتضح أن استراتيجيات التصنيع التي سادت في اقتصاديات الدول النامية، افترضت تصورات لعملية التنمية واعتبارها مجرد تحقيق زيادة في معدل نمو الإنتاج القومي من خلال الاعتماد على التصنيع كوسيلة تؤدى إما إلى الإحلال محل الواردات أو تتجاوز إلى زيادة الصادرات، وفي كلا النهجين فإن الصناعة تلعب دوراً محدداً أن لم يكن هامشياً في النشاط الاقتصادي سواء في تزويد المناشط الأخرى بما احتاجها من سلع إنتاجية ووسطية أو في إقامة قاعدة تكنولوجية محلية أو في توسيع السوق المحلي بالقدر الذي يوفر لها نمواً مستقراً أو ثابتاً.

عنوان المحاضرة
التصنيع والتحضر (تتمة الفصل الأخير)

ثالثاً: الآثار الاجتماعية للتصنيع على المجتمع

•تؤكد الدراسات العلمية على أن العلاقة متبادلة بين التصنيع والمجتمع حيث أن الصناعة تدار بواسطة العمال والفنيين والمديرين وغيرهم الذين يدخلون إلى الصناعة ولهم خبراتهم واتجاهاتهم واهتماماتهم ، ومع ذلك فإن التصنيع يؤثر على سكان المجتمع الذين يقدمون خبراتهم في مجال التصنيع.

أ- التصنيع والبناء الأسرى: تشير معظم الدراسات والبحوث الاجتماعية إلى التأثير العميق والمتعدد الأوجه للتصنيع على بناء الأسرة ووظائفها، الأمر الذي جعل بعض الباحثين يؤكدون أن مظاهر التغير الأسرى كانت أكثر ارتباطا بانتشار الصناعة وتطورها ، وأن كثافة هذه التغيرات الأسرية كانت أموراً نسبية اختلفت باختلاف درجات التصنيع من مجتمع لآخر.

2.أدى التصنيع إلى إحداث تحول في الدور التربوي وعمليات التنشئة الاجتماعية التي كانت مسئولياتها الكاملة تقع على كاهل الأسرة ، إذ تقوم المؤسسات التعليمية والتربوية إلى جانب تنظيمات رسمية أخرى بعملية التنشئة الاجتماعية والمهنية في ظل عملية التصنيع ومن ثم تقلص الدور التربوي للأسرة في التنشئة الاجتماعية.

ب- التصنيع والبناء المهني.

•من أهم التغيرات الاجتماعية لعملية التصنيع، التغير الذي أصاب البناء المهني وحدوث تحولات في نوعية المهن أيضا واكبت الزيادة في التخصصية الفنية زيادة مناظرة في التخصصية الهندسية والعلمية ، وظهور مهن فنية مساعدة تساعد الباحثين والعلماء في تشغيل الحاسبات الآلية والتجارب العلمية في محاولات التصنيع المختلفة.

•أيضا أصبح موقع العمل في التصنيع الآلي متصفاً بالنظافة واستخدام أساليب متطورة وأجهزة قياس عالية الكفاءة ومن ثم تقلصت أوجه التباين في مستوى النظافة لمكان العمل بين العامل على الآلة والموظف في مكتبه.

ج- التصنيع والبناء الطبقي.

•من البيانات التي أكدتها معظم الدراسات التحليلية والبحوث الميدانية في مجالات علم الاجتماع الصناعي والحضري أن التصنيع يرتبط ببناء القوة والبناء الطبقي السائد في المجتمع، فسلطة التحكم في مقدرات الناس في عالم الصناعة كما أوضح ماكس فيبر تمنح صاحبها سطوة سياسية تتجاوز القطاع العام الصناعي المحدود.

•ويتساوى في ذلك المصدر الذي تنبع فيه سلطة التحكم في العالم الصناعي سواء إذا كانت هذه السلطة نابعة من حق الملكية كما هو الحال بالنسبة للرأسماليين أو نابعة من حق التفويض كما هو الحال بالنسبة للمديرين أو نابعة من عمليات الانتخاب الديمقراطي كما هو الحال بالنسبة للزعماء النقابيين الذي يصفهم رايت ميلز بالرجال الأقوياء الجدد، وفي جميع تلك الأحوال نجد أن السلطة المستمدة من بناء الصناعة الحديثة تمتد لتشمل بتأثيرها علاقات القوة والنفوذ على المستوى المجتمعي ككل.

•هذا ويؤثر التصنيع على البناء الطبقي في المجتمع ككل على النحو التالي-:

1.تكوين القوة العاملة: حيث ساهم التصنيع في ظهور قوى جديدة على المسرح السياسي مثل نقابات العمالية والأحزاب الديمقراطية الاجتماعية والإصلاحية التي قادت المجتمعات الأوروبية إلى حالة الرفاة الاجتماعي ، فالتطور الهائل في العملية الصناعية أدى بدوره إلى إحداث تحولات في البنية المهنية الكلية لهذه المجتمعات وتحولت العمالة في سوق العمل الصناعي من عمالة الأجر اليومي إلى عمالة منتظمة ودائمة.

•كما انتقلت نسبة كبيرة من أسر الطبقة العاملة إلى الطبقة الاجتماعية المتوسطة وصاحب ارتفاع المستوى المعيشي لأسر الطبقة العاملة وازدياد نسبة المتعلمين من أبنائها وحصول بعضهم على مؤهلات علمية رفيعة.

2.نسق المكانة: أيضاً صاحب التطور الصناعي أن أصبح التصنيع أحد المصادر الأولية للمهن ، كما أصبح أيضا أحد المصادر الأساسية للمكانة في المجتمع.

رابعاً: التصنيع والتحضر.

•في الوقت التي أكدت الدراسات والبحوث في علم الاجتماع الحضري والصناعي أن عمليتي التصنيع والتحضر تمثل عمليات اجتماعية متداخلة ومتشابكة وأن كل منهما يؤثر في الآخر ويتأثر به من ناحية أخرى.

•كذلك قد يوجد التصنيع دون أن توجد درجة عالية من التحضر ، ومن ثم يتميز التصنيع عن التحضر ولا يمكن استخدام أحد المصطلحين محل الآخر ، ولا يوجد معامل ارتباط حتمى بين التصنيع والتحضر مع أنهما يحدثان في آن واحد.

•لكن التحضر ليس حقيقة ديموجرافية وايكولوجية فحسب بل أيضا أسلوب للحياة إذ تتحول بعض المناطق الريفية إلى مركبات ميتروبلماتية وتفقد كثير من خصائصها الريفية بفضل وسائل الاتصال والانتقال السريعة، وبذلك تفقد هذه المناطق عزلتها واكتفائها الذاتي وقد تصبح الاختلافات بين النظام الزراعي وبين النظام الصناعي التجاري في أسلوب الحياة صغيرة وطفيفة، وقد يختفي الإنسان الريفي من الوجود، وعلى ذلك لا يمكن أن تستمر صفات الحياة الريفية إذا استمر التقدم الصناعي.

•لذا فإن النمو الحضري الذي عرفته المدن الأوربية الصناعية خلال القرن التاسع عشر والقرن العشرين قد جاء استجابة لاحتياجات التصنيع، ولقوة جذب فرص العمل في هذه المدن، لكن النمو الحضري الذي تشهده البلدان النامية منذ منتصف القرن العشرين وبخاصة النمو المتزايد للعواصم والمدن الكبرى يعد نتاجاً لسياسات اقتصادية وسكانية قاصرة دفعت إليها ظروف الفقر الذي تعاني منه المجتمعات الريفية (عوامل طرد).

•أكثر مما دفع إليها التطور الاقتصادي للمجتمع الحضري ذاته فضلاً عن الاهتمام المتزايد من جانب حكومات تلك البلدان بتنمية وتطور المدن (العواصم) أكثر من غيرها من المراكز الحضارية الأخرى ، ومن ثم تركزت معظم الاستثمارات والإنفاقات في هذه المدن ولذلك فقد أدت هذه الإجراءات السياسية المتحيزة للمدن إلى نشوء عملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية في غالبية الدول النامية.

•وفي ضوء ذلك فإن نجاح مشروعات التصنيع في الدول النامية إنما يعتمد على النهوض بالزراعة ، وبقدر ما تستطيع هذه الدول أن تحقق انجازاً في هذا المجال فإن إقدامها على إقامة صناعات جديدة سوف يكون مغامرة محسوبة المخاطر، لذلك يتعين تكثيف الاستقلال الزراعي في البلدان النامية حتى يمكن تحقيق قدر من الدعم الذاتي المتبادل بين قطاعي الزراعة والصناعة.

•حينئذ تستطيع الصناعة في استيعاب فائض العمالة الزراعية مما يخلق بالتالي طلباً متزايداً على السلع المصنعة ، لذا فإن التصنيع يرتبط بالتحضر من حيث كونه عاملاً أساسياً في نشأة

المستوطنات الكبيرة السريعة النمو ، وسبباً قوياً نشيطاً من أسباب عمران المدينة ونموها مساحة وسكاناً.

•فالتصنيع في ذاته عملية تنمية لإمكانات الإنتاج الصناعي من جهة وتنمية لقدرات الفرد الإنتاجية في الميدان من جهة أخرى ، وينعكس ذلك في تنويع الإنتاج بإدخال صناعات جديدة والتفنن في إنتاج مختلف السلع، كما أنه ينعكس أيضا بشكل لافت في ارتفاع مستوى معيشة الفرد في المدينة ،الأمر الذي يجعلها مركزاً لجذب العديد من المهاجرين الذين يبغون الحصول على أجور منتظمة ومستديمة.

•وهكذا نرى أن التصنيع يؤدى إلى عمليات اجتماعية فرعية لنشأة المستوطنات الحضرية وعمران المدينة والهجرة من الريف إلى الحضر ، لذلك تلعب عملية التصنيع دوراً هاماً في خلق مجتمعات جديدة بالإضافة إلى نمو وتطور المجتمعات والمدن الكبيرة وتحويل بعض القرى إلى مدن.

•ولكن السؤال الذي يطرح نفسه في هذا السياق ، ما هي خصائص المجتمع الصناعي الحديث في ظل العولمة وفي مجتمع ما بعد الحداثة؟
•في الواقع أن أهم ما يتصف به المجتمع الصناعي الحديث والتي تميزه عن المجتمع الانتقالي، فتتمثل فيما يلي-:

١. التقدم التقني الحديث.
٢. التنظيم الاجتماعي المعقد والمركب.

٣. الزيادة السريعة في عمليات التغير الاجتماعي.
٤. النمو الاقتصادي السريع.
٥. التحول الديموجرافي واسع النطاق، حيث يتجه حركة السكان نحو المدن الكبرى والمناطق المحيطة به وظهور التجمعات السكانية العملاقة.

٦. ظهور قيم ومعايير مستحدثة تغير من ترتيب القيم الاجتماعية داخل منظوماتها وقد تزيد هذه القيم المستحدثة من حدة الصراع القائم على تباين المصالح الخاصة وتتراجع القيم الجمعية.
٧. تعقيد وتنامي عملية تقسيم العمل داخل الأنساق الاجتماعية الفرعية للمجتمع الصناعي.

٨. ظهور أشكال حديثة من الأسر كنمط الأسرة النووية وارتفاع معدلات الطلاق.
٩. ارتباط عملية التصنيع بمتطلبات التعليم.
١٠. زيادة مصادر القلق والتوتر لدى أفراد المجتمع.
١١. تنامي أنشطة خدمية واستهلاكية تتصف بالتعقيد والتباين وتنهض على أسس بيروقراطية.

•وفى هذا الصدد يشير "هايلبر ونرالى" ثلاثة معاني مختلفة لمفهوم التصنيع كأسلوب حياة في مجتمع ما بعد الحداثة توضح طبيعة هذا المجتمع وهي-:
•الأول: سوف يكون مجتمع ما بعد الحداثة متصفاً بتشييد قطاع الخدمات على سائر الأنشطة الاقتصادية الأخرى.
•الثاني: سوف يعتمد تنامي مجتمع ما بعد الحداثة على عوامل كيفية أكثر من اعتماده على عوامل كمية.

•الثالث: يمكن اعتبار مجتمع ما بعد الحداثة شبيها بمجتمع ما بعد الرأسمالية ، بمعنى أن يمثل نسقاً تقسم فيه المشكلات التقليدية الرأسمالية سبيلاً إلى مجموعة جديدة من المشكلات المرتبطة بالبنية التنظيمية المتغيرة لعالم ما بعد الصناعة.

•ومن أهم مظاهر مجتمع ما بعد الحداثة أن تفقد الصناعة مكانتها الأولى في محصلة النشاط الإنتاجي رغم استمرار دورها الحيوي الهام داخل المجتمع، ويكون هذا التحول مصحوباً بوجود أبنية اجتماعية جديدة لا تتصف فقط بالتحول من الزراعة إلى الصناعة بل يتنامى في اتجاه التحول من إنتاج السلع إلى تقديم الخدمات مع تزايد الوظائف الإدارية.

•وأن نمو الصناعة لا يصاحبه زيادة عدد العمال اليدويين بل ستكون التنمية التقنية والإنتاجية العالية مرتبطتان بتناقص نسبة عدد العمال في اقتصاديات الدول المتقدمة صناعياً.